١٨٧٠
٢٠٤٦٥

وقيل مائة وسبع سنين وقيل مائة الا سنة ومات بقصره بالطف على فرسخين من البصرة
وقيل فرسخ ونصف وصلى عليه قطن بن مدركة الكلابي وهو اخر من مات بالبصرة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ابي الطفيل عامر بن واثلة الليثي ليث بني
كنانة وهو الذي يقول وبقيت سهما في الكنانة واحدا سيرمى به او يكسر السهم ناصله
وكانت وفاته سنة مائة وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية اعوام ولد
عام احد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا لانس بالبركة في ماله وولده وكان
يقول اني لمن اكثر الانصار مالا وولدا وحدثتني ابنتي امينة انه دفن لصلبي
الى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة ويقال انه ولد له ثمانون ولدا
ليس فيهم انثى سوى بنتين حفصة وام عمرو وثمانية وسبعون ذكرا وتوفي في حياته
من ولده وولد ولده نحو مائة روي لانس بن ملك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفا حديث ومائتا حديث وستة وثمانون حديثا اتفقا منها على مائة وثمانية
وستين وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين وانفرد مسلم باحد وسبعين روى عنه
ابو امامة اسعد بن سهل بن حنيف وابناه موسى والنضر وعبيد الله ابن ابي
ابن انس وثمامة ابن عبد الله وخلق كثير روى له الجماعة ثم الكلام على هذا الحديث
من وجوه الاول المراد بالايمان هنا الايمان الكامل التام والا فاصل الايمان
حاصل بدون ذلك ونظيره قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ومعنى حتى يحب
لاخيه من الخير والطاعات ما يحب لنفسه وفي رواية النسائي حتى يحب لاخيه
من الخير ما يحب لنفسه قال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح رحمه الله تعالى وهذا قد
يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك اذ معناه لا يكمل ايمان احدكم حتى يحب
لاخيه في الاسلام ما يحب لنفسه والقيام بذلك يحصل بان يحب له حصول

مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا ينقص على اخيه شيا من النعمة عليه وذلك سهل
على القلب السليم وانما يعسر على القلب الدغل عافانا الله واخواننا اجمعين
قلت واما الغاش وغير الناصح والحاسد ونحو ذلك فناقص الايمان بالنسبة
الى الاول فكم بين من يريد لاخيه الخير الدنيوي والاخروي ومن يريد زوال النعمة الله
تعالى عن عبده او نقص حاله بسبب حسده او غشه وعدم النصيحة له الثاني
قال بعض العلما في هذا الحديث من الفقه ان المومن مع المومن ينبغي ان يكون
كالنفس الواحدة فينبغي له ان يحب له ما يحب لنفسه من حيث انهما نفس واحدة
ومصداقه الحديث الصحيح المومنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر الثالث قال ابو الزناد ظاهر الحديث
التساوي وحقيقته التفضيل لان الانسان يحب ان يكون افضل الناس واذا
احب لاخيه مثله فقد دخل في جملة المفضولين قلت ولا شك في ذلك والله اعلم
الرابع احد هنا بمعنى واحد فهي تستعمل في الاثبات والنفي واما احد التي
للعموم فلا تستعمل الا في النفي نحو ما في الدار احد وما اشبه ذلك الخامس
النفس تذكر وتونث فمن التذكير قوله تعالى ان تقول نفس الى قوله قد جاءتك
اياتي فاول الاية يدل على التانيث واخرها يدل على التذكير فاعرفه الحديث
الرابع عشر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة رواه البخاري ومسلم الكلام على الحديث من وجوه
الاول قوله عليه السلام لا يحل دم امرء هو على حذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه والتقدير لا تحل اراقة دم امرء والدم اصله دمي ولذلك ظهر
اللام في التثنية قال فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

الثاني يقال

الثاني يقال امرء ومرء قال تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وفي الانثى
امراة ومراة بغير همز في هذا الاخير ويقال ايضا رجلة قال
خرقوا جيب فتاتهم لم يبالوا حرمة الرجلة ولا فرق في هذا الحديث بين الذكر
والانثى من حيث الحكم الشرعي وانما خص الذكر لانه الاصل ولانه اشرف في اللفظ
من ذكر الانثى فهو كقوله عليه السلام من اعتق شركا له في عبد الحديث وكقوله عليه السلام
من قام رمضان ايمانا واحتسابا وغير ذلك من الاحاديث التي لا يشك ان القصد
فيها المساواة بين الرجل والمراة حكما الثالث هو المحصن وهو اسم جنس يدخل
فيه الذكر والانثى وللاحصان شروط ستة البلوغ والعقل والاسلام والحرية
والنكاح الصحيح والوطء المباح فمتى اختل شرط من هذه الستة لم يرجم اذا
زنا وجمعها هذه الابيات انشدنا القاضي زين الدين بن رشيق رحمه الله تعالى
لنفسه بمدرسة المذكور بمصر حرسها الله تعالى ۞ شروط الحصانة ستة اتت
فخذها على النص مستفهما ۞ بلوغ وعقل وحرية ۞ ورابعها كونه مسلما ۞
وعقد صحيح ووطء مباح ۞ متى اختل شرط فلن يرجما الرابع قوله عليه السلام
النفس بالنفس قد تقدم ان النفس تذكر وتونث والحديث موافق لقوله تعالى
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والمراد بالنفس المكافية للنفس قال
القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى وتكافؤ الدما يعتبر بامرين احدهما مساواة
المقتول للقاتل في الحرمة او زيادته عليه ويريد بالحرمة ما يرجع الى الحرية
والرق واحكامهما والاخر مساواته له في الدين او زيادته عليه ولا يراعى في القاتل
ان يكون دمه مكافيا لدم المقتول او ناقصا عنه وانما يراعى ان لا يزيد عليه
وتفصيل هذه الجملة ان الحر لا يقتل بعبد ولا بمن بعضه رق ولا بمن فيه عقد
من عقود العتق من مكاتب او مدبر او ام ولد او معتق بصفة او الى اجل

الثيب ح

ويقتل كل هولاء بالحر ولا يقتل مسلم بكافر قصاصا كان ذميا او معاهدا او مستامنا
كتابيا او غير كتابي ويقتل كل هولاء بالمسلم وكل من لا يقتص لهم من الحر لنقصان حرمتهم
بالرق قدما او هم متكافئة يقتص لبعضهم من بعض وان برح احدهم عن الاخر
بعقد من عقود العتق او بحصول بعض الحرية ما لم يكن حرا كامل الحرية فيخرج
حينئذ عن ان يكون دمه مكافيا لدم من قصر عنه وكل من لا يقتص له من مسلم لنقصانه
عنه في الدين فيقتص لبعضهم من بعض وان اختلفت مللهم واحكامهم قلت
ولا فرق في ذلك كله بين الاقارب والاجانب عندنا وقال الشافعي لا يقتل الاب
بابنه لانه كان سببا في ايجاده فلا يكون الولد سببا في اعدامه او نحو هذا الا انه
يراعي عندنا في قتل الاب بابنه ان يكون القتل عمدا لا شبهة فيه ولا احتمال كاضجاعه
وذبحه وما اشبه ذلك فاما المحتمل لمحض العمد فلا ان يكون ارادابه او ما اشبه
ذلك مما لا يكون عذرا في الاجنبي فانه يكون عذرا في حق الاب فيسقط عنه به
القود وتجب الدية مغلظة في ماله والام في ذلك كالاب وقيل يراعي في الجد
مثل ذلك قاله القاضي ايضا وتقرير ذلك في كتب الفقه وقال اصحاب الراي
والشعبي والنخعي يقتل المسلم بالذمي ودليل الجمهور من الصحابة والتابعين
قوله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر خرجه البخاري من حديث علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه احتج المخالفون بحديث ربيعة ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل يوم
خيبر مسلما بكافر ورد بانه منقطع ومن حديث ابن البيلماني وهو ضعيف ولا يصح
في الباب الا حديث البخاري المتقدم وكذلك اختلف في قتل الحر بالعبد
فذهب ملك والشافعي واحمد واسحق وابو ثور والحسن وعطا وعمرو بن دينار
وعمر ابن عبد العزيز الى ان الحر لا يقتل بالعبد محتجين في ذلك بان العبد لما كان
مالا متقوما كان كسائر الاموال اذا اتلفت فانما يكون فيها قيمة المتلف بالغة

مابلغت

٢

مابلغت والحر ليس بمال فلا يكون كفوا للعبد فلا يقتل به ويغرم قيمته ولو زادت
على دية الحر ويجلد القاتل مائة ويحبس عاما عند ملك قال القرطبي وذهبت
طايفة الى انه يقتل به واليه ذهب سعيد بن المسيب والنخعي والشعبي وقتادة
والثوري واصحاب الراي محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم
ويسعى بذمتهم ادناهم قال وذهب النخعي والثوري في احد قوليه الى انه يقتل به
وان كان عبده محتجين في ذلك بما رواه النساي من حديث الحسن عن سمرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه
ومن خصاه خصيناه وقال البخاري وانا اذهب اليه وقال غيره لم يسمع الحسن
من سمرة الا حديث العقيقة الخامس قوله عليه السلام التارك لدينه يريد المرتد
عن الاسلام وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه
والردة هي الكفر بعد الاسلام ويكون بتصريح وبلفظ يقتضيه او بفعل
يتضمنه وهذا الحديث يدل على ذلك لاستثنائه صلى الله عليه وسلم من قوله لا يحل
دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث ثم ذكرهم وذكر منهم التارك لدينه واما
من انتقل من اليهودية الى النصرانية او العكس فانه يقر على ما انتقل اليه
واحكام الردة مستوعبة في كتب الفقه تنبيه اللام في قوله عليه السلام التارك
لدينه وفي المفارق للجماعة الظاهر انها زايدة كما زيدت في قوله تعالى قل عسى
ان يكون ردف لكم وفي قوله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ونحو ذلك فان
ترك وفارق متعديان بانفسهما واسم الفاعل من الفعل المتعدي متعد كفعله
كان الفاصر كذلك فزيدت في اسم الفاعل كما زيدت في الفعل والاصل
التارك دينه والمفارق الجماعة كما تقول الضارب زيدا ولا تقول الضارب لزيد
وكان زيادتها لتوكيد المعنى والله اعلم السادس قوله عليه السلام المفارق للجماعة

المراد بالجماعة جماعة المسلمين وكانت المفارقة للجماعة اعم من المرتد لان كل من خرج عن جماعة المسلمين ببدعة كالخوارج والممتنعين من اقامة الحق عليهم المقاتلين عليه واهل البغي والمحاربين ومن في معناهم يسمون مفارقين للجماعة وان لم يكونوا مرتدين فكل مرتد مفارق للجماعة وليس كل مفارق للجماعة مرتدا فبينهما هذا العموم والخصوص قال بعضهم وان لم يكن كذلك لم يصح الحصر المذكور في اول الحديث يريد انه لو كانت المفارقة لا تكون الا بالردة لكان من تقدم ذكره من الخوارج ومن في معناهم غير داخل في الحديث ودماؤهم حلال بالاتفاق والتحرير في هذا ان من فارق الجماعة يصدق عليه انه بدل دينه الا ان المرتد بدل كل الدين والمفارق بدل بعضه السابع قال بعض من تكلم على هذا الحديث واعلم ان هذا عام يخص منه الصائل ونحوه فيباح قتله في الدفع وقد يجاب عن هذا بانه داخل في المفارق للجماعة او يكون المراد لا يحل تعمد قتله قصدا الا في هولاء الثلاثة قلت وينبغي ان يخص منه ايضا اللائطان فانهما يرجمان عندنا وعند من وافقنا باتفاق ما لم يكونا عبدين او كافرين فيجلد العبد خمسين ويؤدب الكافر عندنا مذهبا والله اعلم

الحديث الخامس عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه رواه البخاري ومسلم الكلام على الحديث من وجوه الاول قال ابن عطية سمي اليوم الاخر لانه لا ليل بعده ولا يسمى يوما الا ما عقبه ليل الثاني يقال صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا اذا سكت واصمته غيره قاله الجوهري ومعنى الحديث ان المومن اذا اراد ان يتكلم فليفكر قبل كلامه فان علم وتحقق ان ما يتكلم به خير لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر الى كلام

تحقق

محرم او مكروه

محرم او مكروه فليتكلم وان كان مباحا فالسنة السكوت على ما قاله العلماء رحمهم الله تعالى قالوا لانه ربما ادى الكلام المباح الى المكروه او المحرم وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وظاهر الاية انهما يكتبان المباح وان كان قد قيل انهما لا يكتبان الا ما كان فيه ثواب او عقاب وقد جاء ان في صحف ابرهيم من عد كلامه من عمله قل كلامه او نحو هذا او فيها وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وروي ان رجلا وقف على لقمان الحكيم وهو في حلقة عظيمة فقال له الست عبد بني الحسحاس فقال بلى فقال اني بلغت ما ارى قال قدر الله وصدق الحديث وتركي ما لا يعنيني قلت وترك فضول الكلام مما لا يعني الانسان وفي الحديث الا انبيكم بامرين خفيفين لم يلق الله بمثلهما الصمت وحسن الخلق وقيل في الحكمة انما جعل لك لسان واحد واذنان ليكون ما تسمع اكثر مما تقول وروي ان رجلا سال مالكا رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقال اوصني فقال ان شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الاطبا في ثلاث كلمات اما علم العلماء فاذا سئلت عما لا تعلم فقل لا اعلم واما حكم الحكما فاذا كنت جليس قوم فكن اسكتهم فان اصابوا كنت من جملتهم وان اخطاوا سلمت من خطايهم واما طب الاطبا فاذا اكلت طعاما فلا تقم الا ونفسك تشتهيه فانه لا يلم بجسدك غير مرض الموت او قريبا من هذا ويقال لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب وانشدني بعض اصحابنا العبد الشريشي

اذا ما اضطررت الى كلمة ... فدعها وباب السكوت اقصد
فلو كان نطقك من فضة ... لكان سكوتك من عسجد

وبالجملة فالاولى بالانسان التقليل من الكلام ما استطاع ما لم يتعلق بذلك مصلحة دينية

او دنيوية وخصوصا بعد العشاء الآخرة خشية ان ينام عن الصبح بسبب سهره اول الليل
واما خشية ان يقع في الحديث من اللغو واللغط ما لا ينبغي ان يختم به اليقظة وقد
استثنى العلماء من ذلك المذاكرة انواع العلم وجميع القربات والكلام مع العروس والضيف
والمسافر واما ما تدعو الحاجة اليه من ضرورات الانسان ومصالحه نحو خذ
ونحو كل وغير ذلك فخارج عن هذا والله اعلم الثالث قوله عليه السلام من كان يومن
بالله واليوم الآخر فليكرم جاره اختلف في حد الجيرة فقال الاوزاعي اربعون دارا
من كل ناحية جيرة وقالت فرقة من سمع الاقامة فهو جار ذلك المسجد وبقدر
ذلك في الدور وقالت فرقة من سمع الاذان وقالت فرقة من ساكن رجلا في محلة
او مدينة فهو جاره والمجاورة مراتب بعضها الصق من بعض ادناها الزوجة
قال الاعشى اجارتنا بيني فانك طالقة وبعد ذلك الخيرة الخلط بسم الخا
واللام جمع خليط واختلف اهل التفسير في قوله تعالى والجار ذي القربى
والجار الجنب فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم الجار ذو القربى هو
الجار القريب النسيب والجار الجنب الذي لا قرابة بينك وبينه وقال نوف
الشامي الجار ذو القربى هو الجار المسلم والجار الجنب هو اليهودي والنصراني
وقالت فرقة الجار ذو القربى هو الجار القريب المسكن منك والجار الجنب هو
البعيد المسكن منك قال ابن عطية وكان هذا القول منتزع من الحديث قالت
عايشة يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال عليه السلام اقربهما
منك بابا وقيل الجار الجنب الزوجة وسيل اعرابي عن الجار الجنب فقال هو
الذي يجيء فيحل حيث تقع عينك عليه قلت والذي يقع لي ان الجيرة على مراتب
ثلاثة ادناها واكدها الجار المسلم ذو القرابة ثم الجار المسلم الاجنبي ثم الجار
الذمي ومن كان من هولاء اقرب في المسكن كان آكد والله اعلم قال القاضي

عياض رحمه الله تعالى

عياض رحمه الله تعالى معنى الحديث ان من التزم شرايع الاسلام لزمه اكرام جاره وضيفه
وبرهما وكل ذلك تعريف بحق الجار وحث على حفظه وقد اوصى الله عز وجل بالاحسان
اليه في كتابه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه قلت ولقد بالغ في هذا المعنى من حكم بشفعة الجار فنزله منزلة
الشريك وان كان الجمهور على خلافه الرابع قوله عليه السلام ومن كان يومن بالله
واليوم الآخر فليكرم ضيفه قال اهل اللغة الضيف يكون واحدا وجمعا قلت
ودليله قوله تعالى هولاء ضيفي ويجمع على الاضياف في القلة والضيوف والضيفان
في الكثرة والمراة ضيف وضيفة واما الفعل فيقال اضفت الرجل وضيفته
اذا انزلته بك ضيفا وضفت الرجل ضيافة اذا نزلت عليه ضيفا وكذلك
تضيفته والضيافة من مكارم اخلاق المومنين ومن محاسن الدين وسنة
النبيين يروى ان ابرهيم الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام كان يسمى
ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب وكان يمشي الميل والميلين في طلب
من يتغدى معه على ما نقل ابو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى والجمهور على
عدم وجوبها وقال الليث بن سعد هي واجبة ليلة واحدة محتجا بقوله عليه السلام
ليلة الضيف واجبة على كل مسلم ويحتمل ان صح الحديث ان يكون الوجوب هنا
وجوب السنن كقوله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم وهو سنة
عند الجمهور ويقوي ذلك ويويده قوله صلى الله عليه وسلم جايزته يوم وليلة والجايزة
الصلة والعطية التي اصلها الندب نعم كانت في ابتدا الاسلام واجبة اذ كانت
المواساة واجبة واما من يخاطب بالضيافة فذهب سحنون الى انها على
اهل البادية لتعذر ما يحتاج اليه المسافر في البادية ولتيسر ذلك على اهل
البادية غالبا وتعذره على اهل الحضر ومشقته عليهم غالبا وذهب مالك في

وابن عبد الحكم من اصحابنا الى ان المخاطب بها اهل الحضر والبادية قال صاحب الافصاح في هذا الحديث من الفقه ان اكرام الضيف عبادة ولا ينقصها ان يضيف الانسان غنيا ولا يغيرها ان يقدم اليسير مما عنده فاكرامه ان يسارع الى البشر في وجهه وتطييب الحديث له وعماد الضيافة هو اطعام الطعام فينبغي له ان يبادر الى ما فتح الله به من غير كلفة الى ان ينفعه ببذل الوسع من غير اضرار باهله على انه اذا اثره ورغب البا العونة من اهله في الايثار ايضا فانه من الكرم فاما الاصاغر فليس له ان يحملهم على ذلك واما حديث الانصاري الذي قال لامراته اطفئي المصباح ونومي الصبيان فانما فعل ذلك في العادة في الصبر عن العشا ليلة انتهى قلت وفيه نظر فان ذلك الطعام كان نصيبا للصبيان ولامهم ولا بد نصيبا واجبا حتما اذ لم يكن عندهم حينئذ الا هو الا ترى قول المراة ليس عندي الا قوت الصبيان فكيف يجوز ان يجيعهم وينومهم طاوين ساعتين حتى يطعم الضيف الذي لم يجب عليه اطعامه فيفعل المندوب ويترك الواجب بل لا يسمى ذلك مندوبا ولا يجوز بل هو بالمحرم اشبه فتامله فانه مشكل جدا وقد اقره عليه السلام على ذلك فقال عجب الله من ليلتكما مع اني لا اعلم خلافا في وجوب نفقة الولد الفقير غير البالغ على الاب القادر وقد اجاب الشيخ محيي الدين عن ذلك في شرح المهذب بان قال رحمه الله انه محمول على ان الصبيان لم يكونوا محتاجين حينئذ بل كانوا قد اكلوا حاجتهم واما الرجل وامراته فتبرعا بحقهما وكانا صابرين فرحين بذلك ولهذا جاء في الاية والحديث الثنا عليهما قال فان قيل قوله نومي صبيانك وغير هذا اللفظ مما جاء في الحديث يدل على ان الصبيان كانوا جياعا فالجواب ان الصبيان لا يتركون الاكل عند حضور الطعام ولو كانوا شباعا فخاف ان بقوا مستيقظين ان يطلبوا الاكل على العادة فيتكدروا عليهما

وعلى الضيف

وعلى الضيف لقلة الطعام والله اعلم قلت والاشكال اقوى من هذا الجواب فتامله

فائدة الضيافات ثمان الوليمة للعرس والخرس بضم الخا وبالسين والصاد للولادة والاعذار والعذيرة للختان والوكيرة للبنا والنقيعة لقدوم المسافر ماخوذ من النقع وهو الغبار ثم قيل ان المسافر يصنع الطعام وقيل يصنعه غيره له والعقيقة يوم سابع الولادة فان فات ففي السابع الثاني والثالث خلاف عندنا والوضيمة بفتح الواو طعام المصيبة والمادبة بفتح الدال وضمها الطعام المتخذ ضيافة بلا سبب وقيل زيادة على ذلك طعام الزائر يسمى التحفة وطعام المتعلل قبل الغدا السلفة واللهنة طعام المستعجل بالطعام قبل ادراك الغدا

الحديث السادس عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب رواه البخاري

الشرح هذا الحديث من جوامع الكلم التي اعطيها عليه الصلاة والسلام فان الغضب لا يكاد يحصى ما يترتب عليه من المفاسد الدنيوية والاخروية بعد ان تعلم ان الله تعالى خلق الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما قصد او نوزع في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار نار الغضب وثارت ثورانا يغلي منه دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن ارتفاع الما في القدر فينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعينان فان البشرة لصفائها تحكي لون ما وراها من لون الدم كما تحكي الزجاجة ما فيها وهذا اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه وان كان ممن فوقه ويئس من الانتقام منه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا فاصفر اللون وان كان الغضب على المماثل والنظير الذي يشك في القدرة عليه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر فاما

فاما ما يترتب على الغضب من المفاسد فتغير ظاهر الغضبان وباطنه اما الظاهر
فتغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب
والنظم واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتنقلب المناخر
وتحمر الاحداق وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان نفسه في حال غضبه
لسكن غضبه حيا من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح
ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر
قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة
فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش والقبائح
في الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول ويستحي منه قائله عند فتور الغضب
وذلك مع تخبيط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب
والتهجم والتمزيق والجرح والقتل عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه
المغضوب عليه او فاته وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب
نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران
والمدهوش المتحير وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة
الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما كسر الاواني وضرب الحيوانات وتعاطى
افعال المجانين واما اثره في القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة
بالمساءات والحزن بالمسرات والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء
وغير ذلك من القبائح وذلك كله حرام يستوجب عليه العقوبة فانظر كم تجمع
هذه اللفظة النبوية لا تغضب من حكمة واستجلاب مصلحة ودرء مفسدة
مما لا يمكن عده ولا ينتهي حده والله اعلم حيث يجعل رسالاته تنبيه
وهذا كله في الغضب الدنيوي المذموم واما الغضب لله عز وجل فمطلوب حيثما

كان صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يغضب اذا انتهكت حرمة لله عز وجل فحينئذ لا يقوم لغضبه شي
حتى ينتصر للحق واذا غضب اعرض واشاح وكان بين حاجبيه عرق يدره الغضب
ولا ينافي حصر غضبه ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من الغضب لله تعالى مع الاتفاق
على انه كان احلم الناس واكثرهم صفحا واحتمالا صلى الله عليه وسلم وهذا هو نهاية الكمال
الغضب في موضعه والحلم في موضعه . اذا قيل الحلم قيل للحلم موضع
وحلم الفتى في غير موضعه جهل فصل ينبغي ان يعلم ان الذي يسكن الغضب
عند هيجانه امران علم وعمل اما العلم فاستحضار ما جاء في فضل كظم الغيظ
مثل قوله تعالى والكاظمين الغيظ الاية وقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية
وقوله عليه السلام الشديد من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة
وغير ذلك من الاحاديث في هذا المعنى وان يخوف نفسه عقاب الله تعالى
وان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام والايام دول وان يتفكر في
قبح صورته عند الغضب كما تقدم وان لا يصغي الى وسوسة الشيطان بان
يقول له ان لم تنتقم استهين بحرمتك ونحو ذلك فانها مزلة منه لك والانفة من خزي
يوم القيمة احرى من انفة الاجتهاد وليستحضر ان ما وقع به مراد الله تعالى فلا
يؤثر مراده على مراد الله تعالى وليصبر ان لم يرض ويحلم واما العمل فان يستعيذ بالله
تعالى من الشيطان الرجيم كما جا في الحديث ويحسن ان يقول اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي
وطهر قلبي واجرني من مضلات الفتن فانه بذلك امر صلى الله عليه وسلم عائشة عند
الغضب فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما او اضطجع ان كنت جالسا فقد جا
في الحديث الامر بذلك فان لم يزل بذلك فتوضأ بالما البارد واغتسل فان النار
لا يطفيها الا الما وقد قال عليه السلام اذا غضب احدكم فليتوضا بالما فانما الغضب
من النار وانما تطفا النار بالما وجا ايضا اذا غضبت فاسكت قال الغزالي رحمه الله تعالى

وقد قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد
وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك
واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ابو حاتم حلم ساعة يدفع شرا كثيرا
واجتمع سفيان الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا
الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع
وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر
حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين الم تسمع ان الله تعالى يقول
خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت
فكانما كان نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان
بالله تعالى اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق
واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني فقال
لا تغضب فقال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك قال ابن فرح
ويروى ان يحيى بن زكريا عليهما السلام لما راى ان عيسى عليه السلام مفارقه قال له
اوصني قال لا تغضب قال لا استطيع قال لا تقتني مالا قال عسى وقال
صاحب الافصاح من الجائز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة
الغضب فخصه بهذه الوصية وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يملك
نفسه عند الغضب وذكر ابو عمر ابن عبد البر في بعض طرق هذا الحديث
ما يبعدني من غضب الله تعالى قال لا تغضب وكان الشعبي يولع بهذا البيت
ليست الاحلام في حين الرضى * انما الاحلام في حين الغضب * وقال ابو العتاهية
اقلب طرفي مرة بعد مرة * لاعلم ما في الناس والقلب ينقلب *
فلم ار [illegible] القنوع لاهله * وان يجمل الانسان ما عاش في الطلب *

ولم ارفضلا

ولم ار فضلا صح الا على التقى * ولم ار عقلا تم الا على الادب *
ولم ار في الاعداء حين خبرتهم * عدوا لعقل المرء اعدى من الغضب * اعاذنا الله
من الغضب بمنه وكرمه **الحديث السابع عشر** عن ابي يعلى شداد بن اوس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم
فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح
ذبيحته رواه مسلم **التعريف** شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام
بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار وبنو عمرو بن مالك كلهم
بنو مغالة وشداد هو ابن اخي حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم
الانصاري النجاري المدني يكنى ابا يعلى سكن بيت المقدس واعقب بها
روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون حديثا اخرج له البخاري حديثا
ومسلم اخر روى عنه ابنه يعلى وابو ادريس الخولاني ومحمود بن لبيد وعبد الرحمن
ابن غنم وابو الاشعث الصنعاني وابو اسماء الرحبي وبشير بن كعب وجبير
بن نفير وضمرة بن حبيب وشداد بن عمار وكثير بن مرة وغيرهم مات ببيت
المقدس سنة ثمان وخمسين وقيل سنة احدى واربعين وقيل سنة اربع وستين
وهو ابن خمس وسبعين سنة وقبره بظاهر باب الرحمة باق الى الان روى له الجماعة
ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول معنى كتب هنا امر وطلب وحض واصل كتب
الثبت وجمع ومنه قوله تعالى وكتب في قلوبهم الايمان اي اثبته وجمعه ومنه
كتبت البغلة اي جمعت حياها قال الشاعر * واكتبها باسيار * اي اجمعها
الثاني على هنا يجوز ان تكون على بابها كقوله تعالى كتب عليكم الصيام كتب عليكم
القصاص وقال الشيخ ابو العباس القرطبي رحمه الله تعالى على هنا بمعنى في قال الله
تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان اي في ملكه ويقال كان كذا

على عهد فلان اى فى عهده حكاه القتيبي وقال صاحب الافصاح ويجوز ان تكون على حالتها
والمعنى انه قد سبق من الله تعالى ان تعبد عبيده بالاحسان على كل شى حتى انه اذا
ذبح ذبيحة فاحد مديته ولم يبرز كيما كالة يعذب بها الحيوان لم يضيع الله ذلك له
وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلة والذبحة لانهما الغاية من الفاعل فى اذى
الحيوان ولا يبقى للاحسان بعدهما وجه فاذا كان الاحسان فيما هو الغاية فى الاذى
فكيف بغير ذلك قلت والاحسان مصدر احسن اذا اتى بالحسن وضده اقبح
اذا اتى بالقبيح كافحش اذا اتى الفاحشة والمراد بالاحسان هنا الشرعي لا العقلي
كما يقوله المعتزلة فليس الحسن عند اهل السنة الا ما حسنه الشرع ولا القبيح الا
ما قبحه على ما هو مقرر فى كتب الاصول واحسان الذبح فى البهائم الرفق بها فلا يصرعها
بعنف ولا يجرها من موضع الى موضع واحداد الالة واحضار نية الاباحة او
القربة وتوجيهها الى القبلة والتسمية فانه ترك التسمية عمدا لم توكل وان تركها
ناسيا اكلت هذا مذهبنا والاجهاز وقطع الودجين والحلقوم واراحتها وتركها
الى ان تبرد والاعتراف لله تعالى بالمنة والشكر له على النعمة فانه سخر لنا
ما لو شا سلطه علينا واباح لنا ما لو شا لحرمه علينا وان لا يذبح بهيمة بحضرة
اخرى الثالثة القتلة بكسر القاف هيئة القتل مثل الجلسة والركبة هيئة الجلوس
والركوب وبالفتح المصدر وكذلك الذبحة سوا الرابع قوله عليه السلام وليحد احدكم
هو بضم اليا وكسر الحا رباعي من احد يقال احد مديته وحددها واستحدها
الخامس قوله عليه السلام وليرح ذبيحته الذبيحة فعيلة بمعنى مفعولة والتا فيها للنقل
عن الوصفية الى الاسمية وبيان ذلك ان العرب اذا وصفت بفعيل مونثا وذكرته
الموصوف حذفت التا اكتفا بتانيث الموصوف فتقول امراة قتيل وعين كحيل
وشاة ذبيح او نطيح فاذا حذفوا الموصوف اثبتوا التا فيقولون رايت قتيلة

بني فلان

بني فلان وذبيحتهم ونطيحتهم لعدم ما يدل على التانيث فاحتاجوا الى اظهاره نفيا
للبس وتعرب الاسم حينئذ مفعولا لا صفة او فاعلا او مجرورا على حسب ما يقتضيه
العامل كغيره من الاسما فهذا معنى قولنا للنقل من الوصفية الى الاسمية والله اعلم
واحكام الذبح مستوعبة فى كتب الفقه **الحديث الثامن عشر** عن ابى ذر
جندب بن جنادة وابى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق
حسن رواه الترمذى وقال حديث حسن وفى بعض النسخ حسن صحيح التعريف
اما ابو ذر فهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار
بن مليل بن ضمرة بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قاله ابن الكلبى وقيل جندب بن جنادة
بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار وقيل اسمه برير بن جنادة
حكاه ابن سعد عن الواقدى وقيل برير بن جندب وقيل جندب بن عبد الله
وقيل جندب بن السكن والمشهور جندب بن جنادة وامه رملة بنت الوقيعة
بن غفار بن مليل روى عنه انه قال انا رابع الاسلام وقيل كان خامسا فى الاسلام
اسلم بمكة ثم رجع الى بلاد قومه ثم قدم المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم روى
له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مايتا حديث واحد وثمانون حديثا اتفقا منها
على اثنى عشر حديثا وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بسبعة عشر حديثا روى عنه
عبد الله ابن عباس وانس بن مالك وزيد بن وهب والمعرور بن سويد والاحنف
بن قيس وخلق سواهم مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود
ثم قدم المدينة فاقام بها عشرة ايام ومات بعد عاشرة روى له الجماعة
واما معاذ بن جبل فابن عمرو بن اوس بن عايذ بالياء التي من تحتها وبالذال المعجمة

بن عدى بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سعد الانصارى المدنى يكنى ابا عبد الرحمن وقال
ابن اسحق معاذ بن جبل من بنى جشم بن الخزرج وانما ادعته بنو سلمة لانه كان اخا
سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن لامه وذكر الزبير بن بكار عن الاثرم عن
ابن الكلبى عن ابيه قال رهط معاذ بن جبل بنو أُدَىّ بن سعد اخى سلمة بن سعد
بن الخزرج قال ولم يبق من بنى ادى بن سعد احد وعدادهم فى بنى سلمة بن سعد
وكان اخر من بقى منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل وقد قيل انه ولد له ولد يسمى
عبد الرحمن اسلم معاذ وهو ابن ثمانى عشرة وشهد بدرا والعقبة والمشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة
حديث وسبعة وخمسون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخارى بثلاثة وانفرد
مسلم بحديث واحد روى عنه عبد الله ابن عمر بن الخطاب وعبد الله ابن عباس
وعبد الله ابن عمرو بن العاص وعبد الله ابن ابى اوفى وابو قتادة الانصارى
وجابر ابن عبد الله وانس بن ملك وخلق سواهم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال له والله يا معاذ انى لاحبك فقال وانا احبك والله يا رسول الله قال
فلا تدع ان تقول فى دبر كل صلاة اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يانى معاذ يوم القيمة بين يدى العلما رتوة
هكذا ذكره صاحب الكمال فى اسما الرجال قال الشيخ محيى الدين فى التهذيب
الرتوة رمية بسهم وقيل بحجر قاله ابن الاثير فى النهاية وقيل بميل وقيل
مدى البصر وقال ابن فارس رتوة اى مسافة وقال الجوهرى وفى حديث
معاذ انه يتقدم العلما يوم القيمة برتوة اى بخطوة ويقال بدرجة انتهى
وقال عبد الله ابن مسعود ان معاذا كان امة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين
قالوا يا ابا عبد الرحمن ان ابرهيم كان امة قال سمعتمونى ذكرت ابرهيم انا كنا

نشبه

نشبه معاذا بابرهيم والذى نقله القاضى ابو بكر ابن العربى رحمه الله تعالى نصه فى احكام
القران قال ابن وهب وابن القاسم كلاهما عن ملك قال بلغنى ان عبد الله ابن مسعود
قال يرحم الله معاذ بن جبل كان امة قانتا لله فقيل يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله عز وجل
بهذا ابرهيم عليه السلام فقال ابن مسعود ان الامة الذى يعلم الناس الخير وان القانت
هو المطيع انتهى مات بناحية الاردن فى طاعون عمواس بفتح العين والميم سنة ثمان عشرة
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل اربع وثلاثين وقيل ابن ثمان وثلاثين وقبره بغور
بيسان فى شرقيه وانما نسب الطاعون الى عمواس وهى قرية بين الرملة وبيت
المقدس لانه اول ما بدا الطاعون منها قال ابو زرعة عبد الرحمن ابن عمرو النصرى
الدمشقى كان الطاعون سنة سبع عشرة وثمانى عشرة وفى سنة سبع عشرة رجع عمر
من سرغ بجيش المسلمين لئلا يقدمهم على الطاعون ثم عاد فى العام المقبل
روى له الجماعة ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول التقوى لفظة وجيزة وهى
مشتملة على خير الدنيا والاخرة لانها عبارة عن اجتناب كل المنهيات وفعل كل المامورات
ومن كان بهذه الصفة فهو المتقى ومن كان متقيا فقد حصل له خير الدنيا والاخرة
وبيان هذه الجملة ما ذكر الله تعالى فى كتابه من ذلك اعنى مما تضمن خير الدنيا والاخرة
من ذلك المدحة والثنا قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
ومنها الحفظ والحراسة من الاعدا قال تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا
ومنها التاييد والنصرة قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقال والله مع المتقين ومنها النجاة من الشدايد والرزق من الحلال قال تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها اصلاح العمل
قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ومنها
غفران الذنوب قال تعالى يغفر لكم ذنوبكم ومنها الدرجة العليا والغاية القصوى

وتتقوا

وهي محبة الله عز وجل قال تعالى ان الله يحب المتقين ولو لم يكن في التقوى سوى هذه
الخصلة لكفت عما عداها ومنها القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
ومنها الاكرام والاعزاز قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ومنها البشارة
عند الموت قال تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا
وفي الاخرة ومنها النجاة من النار قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وسيجنبها
الاتقى ومنها الخلود في الجنة قال تعالى اعدت للمتقين وقد استوعبت الكلام
على قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب في كراس
سميته الغاية القصوى في الكلام على اية التقوى فلينظره هناك من اراده
ولقد احسن القائل • من عرف الله فلم تغنه • معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى • والعز كل العز للمتقي • وكتب على بعض القبور
شعر • ليس زاد سوى التقى • فخذي منه او دعي • واذا علمت ما في التقوى
من اشتمالها على خير الدنيا والاخرة جملة وتفصيلا فاعلم ان حصولها لا يتصور
الا بالعلم لان الجاهل لا يعلم كيف يتقي لا من جانب الامر ولا من جانب النهي
فظهر بذلك شرف العلم وفضيلته على كل عبادة فعليك بالعلم ان اردت
ان تكون من عباد الله المتقين فان قلت ما حد العلم الذي به يصل الى
التقوى والذي هي متوقفة عليه قلت هو فرض العين وذلك ان كل ما لزم
الانسان في خاصة نفسه لزمه علم ذلك الحكم الذي لزمه من طهارة وصلاة
وزكاة ان كان له مال يزكى وصيام وحج ان كان مستطيعا وكذلك ان احتاج
الى شرا سلعة لزمه ان يعلم حكم البيع كيلا يقع في الربا ونحو ذلك مما هو
ضروري للانسان في خاصة نفسه وهذا العلم في وجوبه خلاف بين العلما
فلا يجوز لمن لم يتصف بعلم ذلك ان يدعي انه متق الله تعالى حضرة كونه

جاهلا باحكام الله

جاهلا باحكام الله تعالى المفروضة عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشي افضل
من فقه في دين وقال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وما يشبهه والله اعلم الا
هذا اعني معرفة فرض عينه واداء ما وجب عليه على الوجه الشرعي مع ما ينضاف
الى ذلك من المندوبات والنوافل الموجبة محبة الله عز وجل حيث يقول ولا يزال عبدي
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث فنسال الله تعالى التوفيق والهداية الى اقوم
طريق الثاني قوله عليه السلام واتبع السيئة الحسنة تمحها هذا موافق لقوله تعالى ان
الحسنات يذهبن السيات جا في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت جالسا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله اني اصبت حدا فاقمه
علي فاعرض عنه ثم كرر ذلك مرارا وهو يعرض عنه ثم قال يا رسول الله اتتني
امراة اجنبية تشتري مني تمرا فلما دخلتها البيت فاصبت منها ما يصيب الرجل
من امراته غير اني لم اجامعها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وضوا حسنا
فتوضا وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى اقم الصلاة طرفي النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيات الاية فقال معاذ يا رسول الله
هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وفي الحديث ايضا ما من
رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له
بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة تنبيه انظر
هل محو السيات حقيقة بحيث تمحى من الصحيفة بعد كتبها وهذا ظاهر الحديث
اذ الاصل الحقيقة او يكون المحو قد عبر به عن ترك المواخذة فتكون السيات
على حالها لم تمح الى يوم القيمة وهذا الذي نقله القرطبي رحمه الله تعالى في تذكرته
والله اعلم بذلك الثالث قوله عليه السلام وخالق الناس بخلق حسن قال الجوهري
الخلق السجية يقال خالص المومن وخالق الفاجر وفلان يتخلق بغير خلقه

اى يتكلفه قال الشاعر ان التخلق يأتى دونه الخلق وقد فسر حسن الخلق بطلاقة
الوجه وكف الاذى وبذل المعروف ذكره الترمذى وغيره وقال بعضهم معنى
خالق الناس اى عامل الناس بما تحب ان يعاملوك به وهو راجع فى المعنى الى الاول
وجاء اثقل ما وضع فى الميزان حسن الخلق وهو من صفات النبيين والمرسلين
وخصوص المؤمنين قال عليه السلام خياركم احاسنكم اخلاقا وجاء ان العبد ليدرك
بحسن خلقه درجة الصايم القايم الحديث وفى وصية لبعض الحكما عليك بالصبر
مع الخلق وبالصدق مع الحق وحسن الخلق خير كله الرابع ينبغى ان يعلم ان الخلق
وان كان سجية فى الاصل ومطبوعا عليه العبد فقد يمكن الانسان ان يتخلق
بغير خلقه كما قال ان التخلق يأتى دونه الخلق وقالوا فلان يتخلق بغير خلقه
كما تقدم ولذلك صح الامر بتحصيله وتكسبه فى قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حسن
خلقك مع الناس اذ لا يومر بما طبع عليه فانه تحصيل الحاصل ثم ان ما جبل عليه
من الخلق كالشجاعة مثلا اذا استعملها فى محلها كملاقاة العدو ونحو ذلك
اثيب على الاستعمال لا على نفس الشجاعة وكذا لو استعملها فى معصية عوقب
واما ما يتخلق به من الاخلاق الحميدة ويكتسبه من الخصال الرضية بالرياضة الخلاق
وصحبة اهل الاخلاق الحسنة والاقتدا بهم فى ذلك وتعلمه الخير منهم فهو ظاهر
انه من كسبه والله اعلم **الحديث التاسع عشر** عن ابى العباس عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام
انى اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت
فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان
ينفعوك بشى لم ينفعوك الا بشى قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك
بشى لم يضروك الا بشى قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف

رواه الترمذى

رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية غير الترمذى احفظ الله تجده
امامك تعرف الى الله فى الرخا يعرفك فى الشدة واعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك
وما اصابك لم يكن ليخطيك واعلم ان النصر مع الصبر واعلم ان الفرج مع الكرب
وان مع العسر يسرا التعريف عبد الله ابن عباس هو ابو العباس عبد الله
ابن العباس ابن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخى ابيه حبر الامة وبحر العلم ابو الخلفا وترجمان القران ولد ابن عباس قبل الهجرة
بثلاث سنين بالشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير وتوفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد ناهز الاحتلام وقيل ابن عشر
وقيل ابن خمس عشرة سنة قاله احمد بن حنبل وهو اصح والذى عليه اهل التواريخ هو
الاول وروى الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله عنه فى حجة الوداع انه قال وانا
يومئذ قد ناهزت الاحتلام وهو يشهد لذلك وروى عنه انه قال قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا ختين اى مختون ولم يثبت وقيل انهم كانوا يختنون
للبلوغ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه
التاويل وروى انه قال اللهم علمه الحكمة وتاويل القران وروى عنه انه قال
اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وانه قال اللهم زده علما
وفقها وهى احاديث صحاح كلها وروى مجاهد عنه انه قال رايت جبريل عليه السلام
مرتين ودعا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وكان عمر رضى الله عنه يقول
ابن عباس فتى الكهول له لسان سوول وقلب عقول وكان يحبه ويدخله مع كبار
الصحابة ويستشيره ويعده للمعضلات وروى مسروق عن ابن مسعود
قال نعم ترجمان القران ابن عباس لو ادرك اسناننا ما عاشره منا احد وقال
طاوس ادركت نحو خمسماية من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خالفوا ابن عباس

لم يزل يقررهم حتى يرجعوا الى ما قال وعن مسروق قال كنت اذا رايت ابن عباس قلت
اجمل الناس واذا تكلم قلت افصح الناس واذا حدث قلت اعلم الناس وقال محمد
ابن القاسم ما رايت في مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى اشبه بالسنة
من فتواه وقال عمرو بن دينار ما رايت مجلسا اجمع لكل خير من مجلس ابن عباس وقال
يزيد بن الاصم خرج ابن عباس حاجا مع معاوية فكان لمعاوية موكب ولابن عباس
موكب ممن يطلب العلم وقال شقيق خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة
النور فجعل يقرا ويفسر فجعلت اقول ما رايت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته الروم
وفارس والترك لاسلمت وكان ابن عباس قد عمي في اخر عمره وروي انه راى رجلا
مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فسال النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارايته قال نعم
قال ذاك جبريل اما انه سيفقد بصرك وفي ذلك يقول
ان ياخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور قلبي ذكي وعقلي غير
ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف ماثور وعن ميمون بن مهران قال شهدت
جنازة ابن عباس فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض فوقع على اكفانه ثم دخل
فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي
روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف حديث وستمائة وستون حديثا اتفقا
منها على خمسة وتسعين حديثا وانفرد البخاري بمائة وعشرين حديثا ومسلم
بتسعة واربعين روى عنه عبد الله ابن عمر بن الخطاب وانس بن مالك وابو الطفيل
عامر بن واثلة وثعلبة بن الحكم وابو امامة سهل بن حنيف واخوه كثير
بن عباس وعبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة وسعيد بن المسيب وابو سلمة
ابن عبد الرحمن وخلق سواهم مات بالطائف سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير

وقيل سنة تسع

وقيل سنة تسع وقيل سنة سبعين والاول اكثر واشهر وكان سنه يوم مات احدى وسبعين
وقيل اثنان وسبعون وقيل اربع وسبعون سنة وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات
رباني هذه الامة روى له الجماعة رضي الله عنهم ثم الكلام على الحديث من وجوه
الاول الغلام الصبي حين يفطم الى سبع سنين وتصغيره غليم والجمع غلمة وغلمان
وقالوا في الانثى غلامة قال ... ومركضة صريحي ابوها ... تهان لها الغلامة والغلام
الثاني قوله عليه السلام اني اعلمك كلمات فيه ذكر العالم للمتعلم ما يريد ان يعلمه اياه
وتنبيهه عليه قبل ذكره له ليكون ذلك اوقع في نفسه لسبب تشوقه اليه
فتكون الكلمات هنا مؤثرة في قلبه كما تكون الكلمات بالفتح مؤثرة في جسمه
وجاءت اعني الكلمات بصيغة القلة ولم يقل كلما ولا كلاما ليؤذن ذلك بان
المعنى وان كانت في اللفظ قليلة فمعانيها كثيرة جليلة الثالث في بعض
روايات هذا الحديث في كتاب الفصل والوصل لمسلم كلمات ينفعك الله بهن
اي بعلمهن او بالعمل بمقتضاهن او بمجموع ذلك اعني علمهن والعمل بمقتضاهن
فهو على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه الرابع قوله احفظ الله
يحفظك معناه والله اعلم احفظ امر الله واتقه فلا يراك حيث نهاك واحفظ
حدوده ومراسمه التي اوجبها عليك فلا تضيع منها شيئا فاذا فعلت ذلك
حفظك الله في نفسك ودينك ودنياك وهذا من احسن العبارة عن هذا
المعنى وابلغها واوجزها وهو من جوامع الكلم التي اوتيها صلى الله عليه وسلم
الخامس قوله عليه السلام احفظ الله تجده تجاهك او امامك على الرواية الاخرى
معناه والله اعلم تجده معك بالحفظ والاحاطة والتاييد والاعانة حيث
ما كنت وهو من ابلغ المجاز واحسنه اذ الجهة في حقه تعالى محال وهذا نحو قوله تعالى
ان الله مع الذين اتقوا ان الله مع الصابرين فالمعية هنا معنوية لا ظرفية وكانه

عليه السلام خص الامام دون غيره من الجهات الست لان الانسان سائر ومسافر الى الاخرة
والمسافر انما يطلب امامه لا غير فكان المعنى تجده حيث ما توجهت ويممت وقصدت
من امور الدين او الدنيا المعينة على الدين السادس قوله اذا سالت فاسال الله ارشاد
الى انه لا ينبغي ان يسال غير الله عز وجل لان الرزق قد قسم وحتم مكتوبا في اللوح
المحفوظ لا يتقدم ولا يتاخر ولا يزيد ولا ينقص مضمونا بضمان الله تعالى لكل حيوان
قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى وفي السماء رزقكم
وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون حتى روي ان الملائكة
قالت عند نزول هذه الاية هلكت بنو ادم اغضبوا الرب حتى اقسم لهم على ارزاقهم
وقال عليه الصلاة والسلام ان الروح الامين القى في روعي انه لن تموت نفس حتى
تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب يريد اطلبوا الحلال فاي فايدة
في سوال الخلق على هذا مع ان قلوب الخلايق كلها بيده ومصرفة على ارادته
وتحت تسخيره واذا كانت الامور كلها راجعة اليه تعين ان لا نعتمد في جميع
الامور الا عليه فهو المعطي وهو المانع لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى
سلم الامر الى مالكه • فله العلم المحيط الواسع • واطلب المعروف منه دايما
فهو معطي ذاك وهو المانع • له الخلق والامر وبيده النفع والضر وهو على كل شي
قدير هذا وقد امرنا سبحانه بالسوال وضمن لنا الاجابة فقال تعالى وقال
ربكم ادعوني استجب لكم وقال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه واثنى على الذين
فقال تعالى يدعون ربهم تضرعا وخفية وقال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا الى غير ذلك من الايات وما اسرع ما يمل المخلوق
ويغضب عند ادنى تكرر السوال لديه والباري تعالى يحب الملحين في الدعا
كما جا في الحديث وانشد في هذا المعنى • الله يغضب ان تركت سواله

وبني ادم

وبني ادم حين يسال يغضب • ولقد ربما يميل قلب العبد الى المخلوق بعد عن مولاه •
سبحانه وتعالى واعتاض عنه من لا ينفعه ولا يضره وما سبب ذلك والله اعلم الا
ضعف اليقين مع النظر الى عادات الغافلين والعوام المقلدين المقتدين بغير
اصحاب التوكل واليقين فنسال الله تعالى كمال اليقين والثبات على الدين وان
يجعل اعتمادنا في كل الامور عليه وان لا يلجينا لاحد سواه انه ولي ذلك والقادر
عليه امين رب العالمين السابع قوله عليه السلام واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان
ينفعوك بشي لم ينفعوك الا بشي قد كتبه الله لك الى اخره هو تاكيد لما تقدم
وحث على التوكل والاعتماد على رب الارباب الكريم الوهاب فمن اعتقد ان لمخلوق
تاثيرا في الرزق او غيره من المخلوقات فقد كفر واشرك وخسر الدنيا والاخرة
فتجارته بايرة وصفقته خاسرة فنعوذ بالله من ذلك ونساله اليقين والثبات
على الدين انه ارحم الراحمين فايدة قال العزيزي رحمه الله تعالى امة على
ثمانية اوجه امة جماعة كقوله تعالى امة من الناس يسقون وامة اتباع الانبيا عليهم
السلام كما تقول نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم وامة رجل جامع للخير يقتدى به كقوله
تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله وامة دين وملة كقوله انا وجدنا اباءنا على امة
وامة حين وزمان كقوله تعالى الى امة معدودة وقوله تعالى وادكر بعد امة
اي بعد حين ومن قرا بعد امه وامه اي نسيان وامة قامة يقال فلان حسن الامة
اي القامة وامة رجل منفرد بدينه لا يشركه فيه احد قال النبي صلى الله عليه وسلم
يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده وامة ام يقال هذه امة زيد اي
ام زيد الثامن قوله عليه السلام رفعت الاقلام وجفت الصحف معناه والله اعلم
ان ذلك امر ثابت لا يبدل ولا ينسخ ولا يغير عما هو عليه فايدة قال القاضي
ابو بكر ابن العربي رحمه الله تعالى في احكامه روى الوليد بن مسلم عن مالك عن سمي

مولى ابي بكر عن ابي صالح عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله ن والقلم ثم قال له
اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كاين الى يوم القيمة من عمل او اجل او رزق
او اثر فجرى القلم بما هو كاين الى يوم القيمة قال ثم ختم العمل فلم ينطق ولا ينطق
الى يوم القيمة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي
وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعملهم بطاعته قال القاضي خلق الله
القلم الاول فكتب ما يكون في الذكر ووضعه عنده فوق عرشه ثم خلق القلم
الثاني ليعلم به في الارض قال والاقلام في الاصل ثلثة القلم الاول وذكر الاول
والقلم الثاني ما جعل الله بايدي الملايكة يكتبون بها المقادير والكواين
والاعمال وذلك قوله تعالى كراما كاتبين خلق لهم الاقلام وعلمهم الكتابة بها
القلم الثالث اقلام الناس جعلها الله تعالى بايديهم يكتبون بها كلامهم انتهى
فان قلت من اول من وضع الخط قلت الخط ليس بموضوع وانما هو منقول
وقد روي عن كعب ان اول من كتب الكتاب العربي والسرياني والمسند وهو
كتاب حمير ادم عليه السلام ووضعها في الطين وطبخها فلما اصاب الارض الغرق
وانجلا وخلق الله بعد ذلك من خلق ووجدت كل امة كتابها فاصاب
اسمعيل كتاب العرب وروي عن ابن عباس ان اول من وضع الكتاب العربي اسمعيل
على لفظه ومنطقه كتابا واحدا مثل الموصول ففرقه ولده من بعده وروي
عن عروة ان اول من وضعه ابو جاد وهواز وحطي وكلمن وصعفص وقرشت
واسند الى ابن عمر قال القاضي وهذه كلها روايات ضعيفة ليس لها اصل يعتمد
عليه بها وزيف قول ابن الكلبي اول من وضع الخط نفر من طي فسادوا الى مكة

فتعلمه منهم

فتعلمه منهم جماعة ثم اتوا الانبار فتعلمه نفر منهم ثم اتوا الحيرة وعلموه جماعة قال
وابن الكلبي لا يوثق بنقله ولا يصح ما ذكره من طريق يعول عليه ان الله علم الخط
بالعربية ونقله الكافة فالكافة حتى انتهى الى العرب عن غيرها من الامم فيمكن
ان يقال ان اول من نقل الخط الى بلاد العرب فلان فاما ان يقال اول من وضع
الخط فلا والله اعلم التاسع قوله عليه السلام واعلم ان النصر مع الصبر معناه ان
الصبر يكون سببا للنصر قال تعالى ولين صبرتم لهو خير للصابرين ومن جملة
الخير النصر والظاهر ان الغالب ممن انتصر لنفسه عدم النصر ومن صبر ورضي
بعلم الله تعالى وطلب النصر من الله عز وجل فالمعهود من كرمه واحسانه انه ينصره
ويويده وقد راينا ذلك عيانا وقوله عليه السلام وان الفرج مع الكرب اي لا يدوم
الكرب على احد ولا بد عقباه من الفرج فيحسن بالعبد ان يكون صابرا محتسبا
راجيا وقوع الفرج مما نزل به حسن الظن بمولاه في جميع اموره فانه تعالى
ارحم بالعبد من امه وابيه الا ترى قوله تعالى وهو ارحم الراحمين والوالدان من
الراحمين العاشر قوله عليه السلام وان مع العسر يسرا مصداقه قوله تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فذكر اليسر مرتين والعسر مرة واحدة
لان الالف واللام في العسر الثاني عهدية للالف واللام التي قبلها ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وقال الثعلبي في تفسيره قال العتبي كنت ذات يوم
في البادية وانا بحالة من الغم فالقي في روعي بيت من الشعر فقلت ٭
ارى الموت لمن اصبح ٭ مغموما له اروح ٭ فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف من الهوا
الا ايها المرء الذي ٭ الهم به برح ٭ وقد انشد بيتا ٭ لم يزل في فكره يسنح ٭
اذا اشتد بك العسر ٭ ففكر في الم نشرح ٭ فعسر بين يسرين ٭
اذا ذكرته فافرح ٭ فان العسر مقرون ٭ بيسرين فلا تترح ٭ قال فحفظت

الايات وفرج الله عنى هذا هو القول الصحيح وان كان بعض الناس قال المعنى فان
مع العسر يسرا فى الدنيا وان مع العسر يسرا فى الاخره وهذا خلاف الحديث المتقدم
اعنى قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وهو اثر فى الموطا عن عمر رضى الله عنه
فى رسالته الى ابى عبيده ابن الجراح رضى الله عنه سوال ونتيجه ان قلت كيف
الجمع بين قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما لا يريده تعالى لا يكون
ولا يقع اجماعا من اهل السنة فدل على عدم وقوع العسر ضرورة كونه تعالى لم
يرده وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وهذا يدل قطعا على
وقوع العسر وكلام الله تعالى لا تناقض فيه ولا اختلاف ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قلت الجواب وبالله التوفيق ان المراد بالعسر
فى الاية الاولى غير المراد فى الثانيه والمراد فى الاولى العسر فى الاحكام لا غير
يبينه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم فى الدين من حرج
وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفيه السمحة مع ان صدر الاية يدل على ذلك وهو قوله
تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر واما الاية الثانيه فالمراد
بالعسر فيها العسر فى الارزاق والاكساب دون الاحكام والله اعلم فاشدد
يدك عليها مسئلة فهى من المستجادات وربك الفتاح العليم الحادى عشر
قوله عليه السلام تعرف الى الله فى الرخا يعرفك فى الشدة كان المراد تعرف اليه
تقرب اليه بانواع الطاعات ومحاسن العبادات وتحبب اليه بذلك فتكون
متصفا عنده بذلك معروفا به ويكون على هذا يعرفك فى الشده يسهل عليك
الشدايد ويفرج عنك همومك وغمومك بما سلف من تعرفك اليه بطاعاتك
فى الرخا ويجوز ان يكون ذلك على حذف مضاف اى تعرف الى ملايكته فى الرخا
باظهار العبادات والتزام الطاعات يعرفك فى حال شدتك وطلبك الفرج

من الله تعالى

من الله تعالى والمعونات فتكون لك عند الله تعالى شافعات ويدل على هذا انه فى بعض
الاحاديث ما معناه ان العبد اذا كان له دعا فى حال الرخا فدعا فى حال الشدة قالت
الملايكه يا ربنا هذا صوت نعرفه واذا لم يكن له دعا فى الرخا فدعا فى الشدة قالت
الملايكه ربنا هذا صوت لم نعرفه او نحو هذا او قريبا منه والا فالبارى تعالى يعلم الاشيا
على ما هى عليه جملة وتفصيلا والله سبحانه اعلم **الحديث الموفى عشرين** عن ابى مسعود
عقبه بن عمرو الانصارى البدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ما شئت رواه
البخارى التعريف عقبه بن عمرو بن ثعلبة بن اسيرة قال صاحب الكمال
بفتح الالف وكسر السين ابن عسيره بفتح العين وكسر السين بن خداره بن عوف
بن الحرث بن الخزرج كذا نسبه ابن الكلبى وابن سعد وتابعهما ابن عبد البر
وقال فيما حكاه عن الرشاطى اسيره من عسيره بضم اولهما وفتح ثانيهما
قال وتقلد فى اسيره يسيره ومن قال فيه بالنون فقد صحف وعن ابن اسحق وابن
الكلبى فى يسيره بيا مضمومه وقال ابن عبد البر فيما حكاه عنه الرشاطى وابن
الاثير جداره بخا مضمومه وقال ايضا جداره بجيم مكسورة قال الرشاطى
وذكر ابن ابى خيثمة مثله وهو الصواب يعنى قول الدارقطنى وقال الحافظ
ابو الحسن على ابن المفضل المقدسى وخداره وخدره اخوان فابو مسعود
خدارى وابو سعيد خدرى ونص عليه صاحب الكمال جداره بكسر الجيم واسقط
بين عوف والخزرج حارثا يكنى ابا مسعود وهو مشهور بكنيته سكن بدرا
فنسب اليها واختلف فى شهوده بدرا مع النبى صلى الله عليه وسلم فالجمهور انه
لم يشهدها وانما نزلها وهو الاصح عندهم وذهب بعضهم الى انه شهدها منهم
البخارى ومسلم وذكره البخارى فى البدريين شهد ابو مسعود هذا العقبه

مع السبعين وكان اصغرهم وقيل ان جابرا كان اصغرهم وشهد ابو مسعود احدا
وما بعدها من المشاهد ونزل الكوفة وابتنى بها دارا وتوفي بالمدينة
وقيل بالكوفة سنة احدى او اثنين واربعين وقيل في اخر خلافة معاوية وقيل
في خلافة علي رضي الله عنه وقيل توفي بعد الستين وقيل سنة احدى وثلاثين
والقولان الاخيران ضعيفان روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث
وحديثان له منها في الصحيحين سبعة عشر حديثا اتفقا على تسعة احاديث
وللبخاري حديث واحد ولمسلم سبعة روى عنه عبد الله بن يزيد النخعي وقيس
ابن ابي حازم وابو وايل شقيق بن سلمة وربعي بن حراش وابو عمرو سعيد بن اياس
الشيباني ويزيد بن شريك بن طارق وغيرهم روى له الجماعة رضي الله عنه
الشرح قال صاحب الافصاح فيما حكى عنه ابن فرح يعني من كلام النبوة الاولى
ان الحيا لم يزل ممدوحا ومامورا به لم ينسخ في شرع وقوله اذا لم تستحي فاصنع
ما شئت له ثلاثة اوجه الاول لترك الحيا ولم يرد بقوله اصنع ما شئت الامر
بذلك ولكنه بمعنى الخبر كقوله صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار هذا قول
ابي عبيد والثاني انه وعيد على ترك الحيا والمعنى اذا لم تستحي فافعل ما تريد
فتجازى كقوله عز وجل اعملوا ما شئتم والثالث ان المعنى ما لم تستحي منه
اذا ظهر فافعله وهو في معنى قوله الاثم حزاز القلوب قلت ولا شك ان الحيا
من الخصال الشريفة والصفات المنيفة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم
الحيا خير كله الحيا لا ياتي الا بخير لكن لا ينبغي ان يغلبه الحيا حتى يستحي
فيما يضره من امر دينه او امر دنياه اما امر الدين فمثل ان يودي به الحيا
الى ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك واما امر الدنيا فمثل
ان ياتيه من يطلب منه قرضا مثلا وهو يعلم سوء معاملته او يستخبره منه

دابنه يعلم

دابنه يعلم انه لا يرفق بها بل يجحدها ونحو ذلك فيمنعه الحيا من حرمانه فهذا حيا
ليس بمحمود ومن الحيا غير المحمود الحيا في العلم حتى يودي به ذلك ان تشكل عليه مسالة
مهمة في الدين فيودي به الحيا الى ترك السوال عنها فهذا ايضا مذموم وقد مدحت
عايشة ام المومنين رضي الله عنها نسا الانصار فقالت نعم نسا الانصار لم يمنعهن الحيا
ان يسالن عن امر دينهن وقالت ام سليم رضي الله عنها يا رسول الله ان الله لا يستحيي
من الحق المراة ترى ما يرى النايم الحديث وفي بعض الاحاديث ان ديننا هذا
لا يصلح لمستحي ولا لمتكبر فيحمل على الحيا المذموم كما تقدم لا مطلق الحيا كيف وقد
جا انه صلى الله عليه وسلم كان اشد حيا من البكر في خدرها وفي الصحيح ان الايمان
بضع وسبعون شعبة والحيا شعبة من الايمان وان كان المراد بالايمان هنا الاعمال
على ما قيل قالوا والحيا انقباض وحشمة يجدها الانسان في نفسه عند ما يطلع
منه على ما يستقبح ويذم عليه واصله غريزي في الفطرة ومنه مكتسب للانسان
وهذا المكتسب هو الذي جعله الشرع من الايمان وهو الذي يكلف به واما الغريزي
فلا يكلف به اذ ليس ذلك من كسبنا ولا في وسعنا ولم يكلف الله نفسا الا وسعها
غير ان هذا الغريزي يحمل على المكتسب ويعين عليه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
الحيا لا ياتي الا بخير والحيا خير كله واول الحيا واولاه الحيا من الله تعالى وهو
ان لا يراك حيث نهاك وذلك لا يكون الا عن معرفة بالله كاملة ومراقبة له حاصلة
وهي المعبر عنها بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قاله
صاحب المفهم رحمه الله تعالى وروى الترمذي من حديث ابن مسعود انه قال
عليه الصلاة والسلام استحيوا من الله حق الحيا قالوا انا نستحي والحمد لله فقال
ليس ذلك ولكن الاستحيا من الله حق الحيا ان تحفظ الراس وما حوى والبطن
وما وعى وان تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحيا

قال صاحب المفهم واهل المعرفة في الحيا منقسمون كما انهم في احوالهم متفاوتون وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له كمال نوعي الحيا فكان في الحيا الغريزي اشد حيا
من العذرا في خدرها ومن حالة الكسبي في ذروتها والله سبحانه اعلم **الحديث
الحادي والعشرون** عن ابي عمرو وقيل ابي عمرة سفيان ابن عبد الله رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا غيرك قال قل
امنت بالله ثم استقم رواه مسلم **التعريف** سفيان ابن عبد الله ابن ابي ربيعة
ابن الحرث الثقفي وقيل ابن عبد الله ابن خطيط له صحابة وسماع من النبي
صلى الله عليه وسلم يكنى ابا عمرو وقيل ابو عمرة معدود في اهل الطايف وكان عاملا
لعمر بن الخطاب عليها روى عنه عروة بن الزبير وابنه هشام روى له مسلم
حديثا واحدا وروى له الترمذي وابن ماجه والنسائي **الشرح** قوله قل
لي في الاسلام قولا يعني في دين الاسلام وشريعته وقوله قولا لا اسال عنه
احدا غيرك اي علمني قولا جامعا لمعاني الدين واضحا غير محتاج الى تفسير احد
غيرك التزمه واكتفي به قال صاحب المفهم وهذا نحو مما قاله الاخر علمني شيا
اعيش به في الناس ولا تكثر علي فانسى فقال لا تغضب وهذا الجواب وجوابه
الاخر بقوله قل امنت بالله ثم استقم دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي
جوامع الكلم واختصر له القول اختصارا كما قاله صلى الله عليه وسلم مخبرا بذلك
عن نفسه فانه صلى الله عليه وسلم جمع لهذا السايل في هاتين الكلمتين معاني الاسلام
والايمان كلها فانه امره ان يجدد ايمانه متذكرا بقلبه وذاكرا بلسانه
ومعنى هذا استحضار تفصيل معاني الايمان الشرعي بقلبه التي جاءت به
في حديث جبريل فامره بالاستقامة على اعمال الطاعات والانتها عن جميع
المخالفات اذ لا تتاتى الاستقامة مع شي من الاعوجاج فانها ضده وكان

هذا القول

هذا القول منتزع من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية اي امنوا
بالله ووحدوه ثم استقاموا على ذلك وعلى طاعته الى ان توفوا عليها كما قال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه استقاموا والله على طاعته ولم يروغوا روغان الثعلب
وملخصه اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا وداموا على ذلك انتهى
قال الاستاذ ابو القسم القشيري رحمه الله تعالى الاستقامة درجة بها كمال
الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما
في حالة ضاع سعيه وخاب جهده قلت ولا اجمع عندي للاستقامة مما قاله
صاحب المفهم انفا وهو الاعتدال على طاعة الله تعالى عقدا وقولا وفعلا فيشمل
ذلك العقايد والاعمال القلبية والقولية والفعلية وهذا كاف في تعريف
الاستقامة بل لا يمكن عندي ان تعرف باكثر من ذلك وكل ما قيل فيها راجع
اليه ان شا الله تعالى فنسال الله تعالى الاستقامة الى الممات امين
الحديث الثاني والعشرون عن ابي عبد الله جابر ابن عبد الله الانصاري
رضي الله عنهما ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارايت اذا صليت
المكتوبات وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم ازد على ذلك
شيا ادخل الجنة قال نعم رواه مسلم **التعريف** جابر ابن عبد الله ابن عمرو
بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب
بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة بن تزيد بالمثناه
فوق بن جشم بن الخزرج الانصاري السلمي بفتح السين واللام يكنى ابا عبد الله.
ويقال ابو عبد الرحمن ويقال ابو محمد المدني وامه انيسة بنت غنمة بن عدي
بن سنان اسلمت وبايعت ذكرها ابن سعد في النسا الصحابيات قدم جابر
الشام ومصر وكان من سكان المدينة وابوه عبد الله عقبي بدري احدي

وشهد جابر العقبة الثانية مع ابيه صغيرا ولم يشهد الاولى وذكره بعضهم
في البدريين ولا يصح لانه روى عنه انه قال لم اشهد بدرا ولا احدا منعني ابي
فلما قتل ابي لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قط خرجه مسلم
في صحيحه وذكر البخاري انه كان يتفل الما يوم بدر فيحتمل انه كان شهدها
وهو صغير بحيث انه لم يعد من البدريين ويكون ذلك جمعا بين القولين وذكر
ابن الكلبي انه شهد احدا ولعله كالاول وروى عنه الزبير انه قال غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه احدى وعشرين غزوة شهدت معه منها
تسع عشرة غزوة فيحتمل انه لم يحتسب بدر واحد لانه لم يحضرهما او لكونه
صغيرا والله اعلم وكان من الحفاظ المكثرين في الرواية وممن طال عمره حتى اتسع
الاخذ عنه وعمي في اخر عمره ومات وهو ابن اربع وتسعين سنة واختلف في وفاته
فقيل في سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة ثمان وتسعين بالمدينة وصلى عليه ابان بن عثمان
بن عفان وهو يومئذ اميرها ويقال انه اخر من مات بالمدينة من الصحابة
رضي الله عنهم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف حديث وخمسمائة حديث
واربعون حديثا اخرجا له مايتي حديث وعشرة احاديث اتفقا منها على ثمانية
وخمسين وانفرد البخاري بستة وعشرين ومسلم بمائة وستة وعشرين وروى
عن ابي بكر وعمر وعلي وابي عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد
وابي هريرة روى عنه ابو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف وابو جعفر
محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب ومحمد بن المنكدر وعطا بن ابي رباح
وخلق سواهم روى له الجماعة ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول هذا الرجل
السائل هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة واخره لام
رضي الله عنه الثاني قال صاحب المفهم هذا السائل انما سال النبي صلى الله عليه وسلم

عن دخول

عن دخول من فعل ما يجب عليه وانتهى عما حرم الله عليه الجنة فاجابه نعم ولم يذكر في هذا
الحديث شيا من التطوعات على الجملة وهذا يدل على جواز ترك التطوعات على الجملة لكن
من تركها ولم يعمل شيا منها فقد فوت على نفسه ربحا عظيما وثوابا جسيما ومن داوم
على ترك شي من السنن كان ذلك نقصا في دينه وقدحا في عدالته فان تركه تهاونا
ورغبة عنها كان ذلك فسقا فيستحق به ذما وقال علماونا لو ان اهل بلدة تواطوا
على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا ولقد كان صدر الصحابة رضي الله عنهم
ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضايل مثابرتهم على الفرايض ولم يكونوا
يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما وانما احتاج ايمة الفقها الى ذكر الفرق لما يترتب
عليه من وجوب الاعادة وتركها وخوف العقاب على الترك ونفيه ان حصل ترك ما
بوجه ما وانما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه على السنن والفضايل تسهيلا
وتيسيرا لقرب عهده بالاسلام لئلا يكون الاكثار من ذلك تنفيرا او علم انه
اذا تمكن في الاسلام وشرح الله صدره رغب فيما رغب فيه غيره ولئلا يعتقد
ان السنن والتطوعات واجبة وقد سال السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الصلوات فاخبره انها خمس فقال هل علي غيرها فقال لا الا ان تطوع ثم ساله
عن الصوم فاخبره ثم ساله عن الحج والشرايع فكذلك يخبره فيقول هل علي غيرها
فيقول لا الا ان تطوع فقال في اخر ذلك والله لا ازيد على هذا ولا انقص فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح ان صدق وفي رواية ان تمسك بما امر به دخل الجنة
وذكر البخاري في كتاب الصوم فقال والله لا اتطوع شيا وهذا يسمى لمحافظته على
فرايضه واتقانها والاتيان بها في اوقاتها من غير اخلال بها مفلحا كثير الفلاح
والنجاح وياليتنا وفقنا لذلك ومن اتى بالفرايض واتبعها النوافل كان افلح
منه وانما شرعت النوافل لتتميم ما ينقص من الفرايض فهذا السايل

بعلمه
فكل ذلك

والذى قبله انما تركهم النبى صلى الله عليه وسلم تسهيلا عليهم الى ان تنشرح صدورهم
بالفهم عنه والحرص على ثواب تلك السنة وبات فتسهل عليهم ومن المعلوم انه لا
ما سوغ لهم ترك الوتر ولا صلاة العيدين ولا غير ذلك مما فعله النبى صلى الله
عليه وسلم فى جماعة المسلمين ولا يجترئون على ترك ذلك الذى يعلم من حرصهم
على الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الثالث معنى قوله حرمت الحرام
تركته مع اعتقادى تحريمه واما قوله احللت الحلال فيكفى فيه مجرد اعتقاده
حلالا وقد تقدم الكلام على حقيقة الحلال والحرام فى حديث الحلال بين والحرام
بين مستوعبا والحمد لله الرابع قوله وصمت رمضان فيه ذكر رمضان من غير
ذكر الشهر وقد تقدم ذكر الخلاف فى ذلك هل لا يقال الا شهر رمضان
او يقال او الفرق بين ان تشعر قرينة بانه الشهر كقولنا صمنا رمضان وقمنا
رمضان فيجوز او لا تدل قرينة مثل قولنا حضر رمضان او جاء رمضان فلا يجوز
لئلا يلتبس باسم الله تعالى على ما تقدم تقريره فى الحديث الثانى

الحديث الثالث والعشرون

عن ابى مالك الحرث بن عاصم الاشعرى رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان
وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملا ما بين السموات والارض والصلاة نور
والصدقة برهان والصبر ضيا والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو
فبايع نفسه فمعتقها او موبقها رواه مسلم التعريف ابو مالك الاشعرى
اختلف فى اسمه فقيل الحرث وقيل عبيد وقيل كعب بن عاصم وقيل عمرو
روى له مسلم وابو داود والنساى وابن ماجة وروى له البخارى على الشك
فقال عن ابى مالك الاشعرى او ابى عامر ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول
قال الجوهرى الطهور يريد بالفتح ما يتطهر به كالفطور والسحور والوقود

قال الله تعالى

قال الله تعالى وانزلنا من السما ما طهورا قلت فعلى هذا يكون المضموم الفعل ويكون
كالوضوء بالفتح الما وبالضم الفعل واما الغسل فبالفتح المصدر وبالضم للماء
عكس الوضوء على ما حكاه الجوهرى وقد قيل فى الغسل ما قيل فى الوضو فائده
قال الشيخ جمال الدين ابن مالك الجيانى رحمه الله تعالى فى املايه على قوله تعالى وانزلنا
من السما ما طهورا فعول المشتق فى الكلام اما للمبالغة واما لغيرها فالذى
للمبالغة شرطه ان يدل على زيادة معنى فاعل مع مساواته له فيما له من تعد
ولزوم كضروب بالنسبة الى ضارب وولوج بالنسبة الى والج والذى لغير المبالغة
اما بنية مفتتحة دالة على معنى فاعل مغنية عنه نحو عفو وحصور وهى
الناقة الضيقة الاحليل وهى التى ضاق مجرى لبنها من ضرعها واما دالة على
ما يفعل به الشى كرقوء وهو ما يرقا به الدم اى ينقطع فتسمية الما طهورا
اما ان تكون للمبالغة واما ان يكون مفعولا به التطهر كالرقوء وكالسحور وهو
ما يتسحر به وكالوضوء وهو ما يتوضا به وكالسنون وهو ما يستن به وكالبرود
وهو ما يتبرد به انتهى والطهور والطهارة مصدران بمعنى النظافة تقول
العرب طهر الشى بفتح الها وضمها يطهر بالضم لا غير وهو التنزه عن المستخبثات
المحسوسة والمعنوية كما قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا الثانى الشطر النصف والشطر ايضا النحو والقصد قال تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام اى نحوه قال الجوهرى واصله من اخلاف الناقة
ولها خلفان قادمان وخلفان آخران وكل خلفين شطر ويقال شطر عنه
اى بعد وشطر اليه اى اقبل والشاطر الذى اعيا اهله خبثا وقال غيره
الشاطر من الشبان البعيد من الخير الثالث اختلف فى معنى قوله عليه السلام الطهور
شطر الايمان فقال صاحب المفهم اولى ما قيل فى ذلك ان يقال ان اراد بالطهور

الطهارة من المستحبثات الظاهرة والباطنة والشطر النصف والايمان هنا هو بالمعنى
العام كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل
بالاركان ولا شك ان هذا الايمان ذو خصال كثيرة واحكام متعددة غير انها
منحصرة فيما ينبغي التنزه عنه والتطهر منه وهي كل ما نهى الشرع عنه وما ينبغي
التلبس والاتصاف به وهي كل ما امر الشرع به فهذان النصفان عبر عن احدهما
بالطهارة على مستعمل اللغة وهذا كما قد روي مرفوعا الايمان نصفان نصف
شكر ونصف صبر وقد قيل ان الطهارة الشرعية لما كانت تكفر الخطايا السابقة
كانت كالايمان الذي يجب ما قبله وكانت شطر الايمان بالنسبة الى محو الخطايا
وهذا فيه بعد اذ الصلاة وغيرها من الاعمال الصالحة تكفر الخطايا فلا يكون
لخصوصية الطهارة بذلك معنى ثم لا يصلح ايضا معنى كون الطهارة نصف
الايمان بذلك الاعتبار لانها انما تكون مثلا له في التكفير ولا يقال في المثل
للشيء شطره وقيل ان الايمان هنا يراد به الصلاة كما قال تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم على قول المفسرين ومعناه على هذا ان الصلاة لما
كانت مفتقرة الى الطهارة كانت كالشطر لها وهذا ايضا فاسد اذ لا يكون
شرط الشيء شطره لا لغة ولا معنى فالاولى التاويل الاول والله اعلم الرابع
قوله عليه السلام والحمد لله تملا الميزان الظاهر الذي يتبادر اليه الذهن ان الذي
يملا الميزان قول العبد الحمد لله فقط لا ان المراد الفاتحة بجملتها وان كان الحمد
من اسمائها العشرة ويصح عندي ان يقال تملا بالتا باثنتين من فوق ويكون
الضمير راجعا الى اللفظة او الجملة من حيث المعنى ويجوز ان يقال بالياء باثنتين
تحت ويرجع الى الحمد نفسه والله اعلم وقد تقدم معنى الحمد في الخطبة وانه
الثناء على المحمود بجميل صفاته وافعاله والميزان مفعال من الوزن واصله

موزان فانقلبت

موزان فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ومثله ميعاد وميقات ونحو ذلك لانهما من الوعد
والوقت [illegible] ولتعلم ان مذهب اهل السنة اثبات الميزان ذي الكفتين واللسان
قال الغزالي رحمه الله وصفته في العظم انه مثل طباق السموات والارض توزن فيه
الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام
العدل وتطرح صحائف الحسنات في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها
عند الله تعالى بفضل الله تعالى وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها
الميزان بعدل الله تعالى انتهى وكذلك نقل الواحدي في تفسيره عن ابن عباس
رضي الله عنه قال توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فاما
المؤمن فيؤتى بعمله في احسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته
فذلك قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وهذا كقوله تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة الاية وانما قال تعالى موازينه على الجمع حملا على معنى
من دون لفظها او ان المراد بالموازين الموزونات كما ذهب اليه بعضهم ثم
قال ابن عباس ويؤتى بعمل الكافر في اقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف
وزنه فذلك قوله تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم اي صاروا الى العذاب
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري فقطرت نائما
دموعي على خده صلى الله عليه وسلم فاستيقظ فقال ما يبكيك فقلت ذكرت
القيامة وهولها فهل تذكرون اهاليكم يا رسول الله فقال ثلاثة مواطن لا يذكر
احد فيها احدا الا نفسه عند الميزان حتى يعلم ايخف ميزانه ام يثقل وعند
الصحف حتى يعلم اياخذ صحيفته بيمينه ام بشماله وعند الصراط حتى يجاوز
وذهب جمهور المعتزلة الى انه ليس في الاخرة ميزان حسي وبعضهم يجوزه ولا يقطع
به ويدل على فساد مذهبهم ان العقل لا يحيل ذلك وقد صرح به القران

واستفاض معناه في الاخبار كما تقدم وقد استوعبت الكلام على هذه المسلة في شرح
عقيدة ابن ابي زيد رحمه الله تعالى استيعابا شافيا فلينظره هناك من اراده
والله الموفق قال صاحب المفهم فاذا حمد الله حامد مستحضرا معنى الحمد في قلبه
امتلا ميزانه من الحسنات فان اضاف الى ذلك سبحان الله الذي معناه تنزيه الله
وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من النقايص ملات حسناته وثوابه زيادة
على ذلك ما بين السموات والارض اذ الميزان مملو بثواب التحميد وذكر السموات
والارض على جهة الاغيا على العادة العربية والمراد ان الثواب على ذلك كثير
جدا بحيث لو كان اجساما لملا ما بين السموات والارض فان قلت هل ليس الا ميزان
واحد او لكل انسان ميزان قلت اختلف العلما في ذلك فقيل لكل امة ميزان
وقيل لكل انسان ميزان والصحيح انه ليس الا ميزان واحد واما وروده
في القران بصيغة الجمع فلا دليل فيه لانه قد يرد المفرد بلفظ الجمع كقوله تعالى
الذين قال لهم الناس الاية والمراد نعيم رسوله الى ابي سفيان ابن حرب او اريد
بالموازين الاعمال الموزونة ولما كان الميزان ذا اجزا سمي كل جزء منه ميزانا
كما قالت العرب شابت مفارقه فسموا كل موضع من المفرق مفرقا اذ ليس للانسان
الا مفرق واحد وقالوا جمل ذو عثانين وليس له الا عثنون واحد وهو
شعرات طوال تحت حنكه فان قلت ما وجه العدول عن الحقيقة الى المجاز
قلت تعظيما لشانه وتفخيما لامره وتحذيرا من اكتساب السيات وتحريضا
على اكتساب الحسنات اذ كل مرجعهما اليه ولو لم يسمع من القران الكريم الا هذه
الاية اعني قوله تعالى ونضع الموازين القسط الاية لكان للعاقل فيها كفاية
لاشتمالها على الوعيد التام لاهل السيات والوعد الجميل لاهل الطاعات
وقد قيل ان الوزن اقسام الاول يوزن الايمان بجميع السيات فيرجح وهو علامة

الخلود في النعيم

٧

الخلود في النعيم ويوزن الكفر بجميع حسنات الكافر فيرجح بها وهو علامة الخلود
في النار وهذا ماخوذ من قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية الثالث
وزن مظالم العباد ففي الصحيح انه ياخذ المظلوم من حسنات الظالم بقدر حقه
فان لم يكن له حسنات طرح عليه من سياته فينصرف عقابها اليه الا ان يغفر الله
عز وجل الخامس قوله عليه السلام والصلاة نور هو من باب قولهم زيد اسد فجعل نفس
الاسد مبالغة في التشبيه ويحتمل ان يكون من باب قولهم رجل عدل وفي ذلك ثلاثة
اوجه اما ان يكون جعله نفس العدل كما تقدم واما ان يكون معناه ذو عدل على
حذف المضاف واما ان يكون بمعنى عادل فعلى الاول جعل الصلاة نفس النور
على طريق المبالغة وعلى الثاني يكون المعنى الصلاة ذات نور لصاحبها وعلى الثالث
منيرة لوجهه قال صاحب المفهم معناه ان الصلاة اذا فعلت بشروطها المصححة
والمكملة نورت القلب بحيث تشرق فيه انوار المعارف والمكاشفات حتى امر
من يراعيها حق رعايتها ان يقول وجعلت قرة عيني في الصلاة وايضا فانها نور
بين يدي مراعيها يوم القيمة في تلك المظالم وايضا فتنور وجه المصلي يوم
القيمة فيكون ذا غرة وتحجيل كما قد ورد في حديث عبد الله ابن بسر مرفوعا
امتي يوم القيمة غر من السجود محجلون من الوضو قلت ولا شك ان ذلك يوجد
في الدنيا فترى وجه المصلي لا سيما المتقي وضيا نيرا وترى وجه من لا يصلي
اسود مظلما وهذا مشاهد لا يكاد يخفى على من تامله وقد جا من صلى بالليل
حسن وجهه بالنهار وان لم يثبت حديثا فهو اثر عن السلف رضي الله عنهم
السادس قوله عليه السلام والصدقة برهان في اللغة الحجة تقول برهن على كذا
اذا اقام الحجة عليه وفي الاصطلاح هو الدليل والمرشد وهو المراد في الحديث
والمعنى ان الصدقة دليل على ايمان المتصدق لبذله العاجل المحبوب

قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة الاية
الثاني وزن الاعمال ... مقادير
بالمثقال قيل الظهور بوزن
الجزاء وهو ماخوذ من قوله

عنده المجبول على محبته رجآ للثواب الآجل فلولا صحة ايمانه لما بذل عاجلا لآجل
وهو الممدوح في قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه الاية قيل على حب الطعام
وقيل على حب الله تعالى وفي قوله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وغير ذلك من الايات وقد حث الله تعالى على التصدق في غير ما اية فقال تعالى
ان الله يجزي المتصدقين وقال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الاية
وقال تعالى وما انفقتم من شي فهو يخلفه وقال تعالى في الاية الجامعة الفاذة
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وليت شعري
ما الذي يصد المومن الموقن الموسر عن الصدقة وقد قرع سمعه قوله عز وجل
وما انفقتم من شي فهو يخلفه وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له وله اجر كريم وغير ذلك من الايات المتضمنة الحث على الصدقة
وهو يتجر رجا ربح درهم في عشرة والله تعالى وعده على الحسنة بعشر امثالها
الى سبعماية الى ما لا يتناهى كما جا في الحديث وانظر قوله تعالى ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وقوله انه كان لا يومن بالله العظيم
ولا يحض على طعام المسكين كيف قرن فيهما تعالى عدم اطعام المساكين بالكفر
الموجب الخلود في النار ولو لم يكن في سماحة النفس وكرم الاخلاق والزهد
في الدنيا الا التاسي برسول الله صلى الله عليه وسلم لكان للعاقل في ذلك مقنع
كيف ولو شرعنا نورد ما جا في فضل الصدقة وشبهها لخرجنا عن مقصود الكتاب
والله الكريم الوهاب السابع قوله عليه السلام والصبر ضيا قال صاحب المفهم كذلك
صحت روايتنا فيه وقد رواه بعض المشايخ والصوم ضيا بالميم ولم تقع لنا
تلك الرواية على انه يصح ان يعبر بالصبر عن الصوم وقد قيل ذلك في قوله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة فان تنزلنا على ذلك فيقال في كون الصبر ضيا

كما قيل في كون

كما قيل في كون الصلاة نورا وحينيذ لا يكون بين النور والضيا فرق فان معنوي اللفظي
والاولى ان يقال الصبر في هذا الحديث غير الصوم بل هو الصبر على العبادات
والمشاق والمصايب والصبر عن المخالفات والمنهيات كاتباع هوى النفس
والشهوات وغير ذلك فمن كان صابرا في تلك الاحوال متثبتا فيها متقلبا لكل
حال بما يليق به اضاآت له عواقب احواله ووضحت له مصالح اعماله وظفر بمطلوبه
وحصل من الثواب على مرغوبه كما قيل وقل من جد في امر يحاوله واستصحب
الصبر الا فاز بالظفر قلت قوله فحينيذ لا يكون بين النور والضيا فرق فان معنوي
يوهم انه قد يكون بينهما فرقان على وجه اخر وقد سوى الجوهري بينهما ففسر
الضيا بالنور في موضع وفسر النور بالضيا في موضع اخر ولم ار من فرق بينهما
الثامن قوله عليه السلام والقران حجة لك او عليك القران مصدر قرات الكتاب
قراة وقرانا وقد تقدم الكلام على القران وجميع اسمايه في الخطبة فجدد به عهدا
ومعنى كونه حجة قال الشيخ ابو العباس القرطبي رحمه الله تعالى في مفهمه
يعني انك ان امتثلت اوامره واجتنبت نواهيه كان حجة لك في المواقف التي
تسال فيها عنه كمسايلة الملكين في القبر والمسايلة عند الميزان وفي عقبات
الصراط وان لم تمتثل ذلك احتج به عليك قال ويحتمل ان يراد به ان القران
هو الذي ينتهي اليه عند التنازع في المباحث الشرعية والوقايع الحكمية فبه
يستدل على صحة دعواك وبه يستدل عليك خصمك قلت وكان الاول اظهر
والله اعلم التاسع قوله كل الناس يغدو الى اخر الحديث غدا يغدو واذا ابتكر
وراح يعود الرواح وقال الازهري معنى راح مضى لان الغدو والرواح عند العرب
مستعملان في السير اي وقت كان من ليل او نهار يقال راح في اول النهار واخره
يروح وغدا بمعناه قلت وهذا خلاف نص الصحاح قال والرواح نقيض الصباح

وهو اسم للوقت من زوال الشمس الى الليل وقد اشبعت القول فى هذه المسئلة فى رياض
الافهام فى شرح عمدة الاحكام فى باب الجمعة ومعنى ذلك ان كل انسان يصبح ساعيا
فى اموره وهو اما ان يكون الغالب عليه السعى فى خلاص نفسه متوجهة بقلبه وقالبه
الى الاخرة وطلب ما عند الله تعالى مع الاعراض عن زخارف الدنيا وزينتها وعدم
الاحتفال بها والتقيد باداب الشرع قولا وفعلا امتثالا واجتنابا فهذا
الذى قال النبى عليه الصلاة والسلام فبايع نفسه فمعتقها اى باع نفسه من الله عز وجل
فناهيك بها صفقة اغتنام اذ كان الثمن عنها دار السلام والنظر فيها الى وجه
الملك العلام والعجب انه بيع آيل الى عتق وحرية وسيادة بسبب ما اسلفه من
الطاعة والعبادة والزهادة فاعتق نفسه من رق الخطايا والمخالفات بل من
اقتحام النار وعظيم العقوبات واما ان كان ساعيا فى مذموم اغراضه وهواه
مخالفا فى غالب تقلباته لسيده ومولاه فهذا الذى باع نفسه من الشيطان
وتصدى لغضب الرحمن واختار عذاب النار على نعيم الجنان واوبق نفسه
اى اهلكها قال تعالى او يوبقهن بما كسبوا فكان جديرا بالطرد والحرمان
نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه ونسأله رحمته وثوابه انه ولى ذلك والقادر
عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل

الحديث الرابع والعشرون

عن ابى ذر
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله عز وجل انه قال يا عبادى
انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال
الا من هديته فاستهدونى اهدكم يا عبادى كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعمونى
اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم يا عبادى انكم
تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم يا عبادى
انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى يا عبادى لو ان اولكم

واخركم

واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا
يا عبادى لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم
ما نقص ذلك من ملكى شيئا يا عبادى لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا فى
صعيد واحد فسالونى فاعطيت كل واحد مسئلته ما نقص ذلك مما عندى
الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادى انما هى اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم
اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم
ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول العبد يجمع فى القلة على اعبد وفى الكثرة
على عبيد وعباد وعبدان وعبدان بضم العين وكسرها وتخفيف البا وعبدان
بكسر العين والبا وتشديد الدال وعبدا بمد وبقصر ومعبودا مثل مشيوخا
وعبد مثل سقف واعابد ومعبدة وقد جمعها الشيخ جمال الدين ابن مالك خلا عبدان
فقال عباد عبيد جمع عبد واعبد ۞ اعابد معبوداء معبدة عبد ۞
كذلك عبدان وعبدان اثبتا ۞ كذاك العبدا وامدد ان شئت ان تمد ۞
الثانى الظلم فى اللغة وضع الشى فى غير موضعه قال العلما معناه معنى حرمته
الظلم على نفسى تعاليت عنه وتقدست والظلم مستحيل منه سبحانه وتعالى لان الظلم
هو التصرف فى ملك الغير والبارى تعالى لا يصادف لغيره ملكا يتصرف فيه
لانه خالق المالكين وملكهم ولانه الذى حد الحدود ورسم الرسوم واحل وحرم
فلا حاكم يتعقبه ولا حاجر عليه يمنعه فلا يجب عليه حكم ولا يترتب عليه حق تعالى عن ذلك
علوا كبيرا قاهره قال بعض العلما فى هذا الحديث انه لا يسوغ لاحد ان يسال
الله تعالى ان لا يحكم له على خصمه الا بالحق لقوله سبحانه انى حرمت الظلم على نفسى
فهو سبحانه وتعالى لا يظلم عباده فكيف يظن ظان انه يظلم عباده لغيره ولذلك
قال لا تظالموا فلت وانظر قوله تعالى قل رب احكم بالحق وامر الله تعالى لرسوله

بذلك دليل على الاجابة والعدة بها كما قاله ابن عطية رحمه الله تعالى في تفسيره وكذلك
الاية الاخرى التي هي خاتمة قد افلح المومنون وما كان الله سبحانه ليامر بما لا يجوز الدعا
به ولا فرق في المعنى بين قولنا رب احكم بالحق وبين قوله لا تحكم الا بالحق فقد عرفت
معارضة هذا القول للاية الكريمة الا ان يكون معنى الاية علمهم بعدلك
دون فضلك فيكون ذلك دعا عليهم بهذا المعنى فتزول المعارضة وبالله التوفيق
وقريب من هذا عندي ما نقله ابن فرح وغيره عن بعض العلما انه قال في قوله تعالى
ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ان من لا يعتدا في الدعا ان يومن عند قراة
هذه الثلاث لان الله تعالى قال قد فعلت فاذا قال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين يقول في هولا امين قلت وهذا خلاف ما في
صحيح مسلم فانه فيه نعم في الجميع وروى الضحاك ان جبريل عليه السلام اتى محمدا عليه الصلاة
والسلام فقال قل ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا فقالها فقال جبريل قد فعل
قال قل كذا وكذا فيقولها فيقول جبريل قد فعل الى اخر السورة فعلى هذا
لا فرق بين الثلاث الاولى والاخيرة اذ قال في الكل قد فعل فتامله تنبيه
في الحديث جواز اطلاق النفس على الله عز وجل وهو مثل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك وان كان بعض الناس تاوله بان جعل النفس راجعة الى عيسى عليه السلام
اي ولا اعلم ما في مخلوقتك وكانه اوقع الظاهر موقع المضمر على هذا اذ كان
الاصل ولا اعلم ما فيها حرصا على بقا قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت على عمومه
وفيه بعد وهو بعيد فان صح له هذا في الاية كيف يصح له ذلك في هذا الحديث
وما اشبهه مع انه لا ضرورة تدعو الى ذلك الثاني قوله وجعلته بينكم محرما
اي حكمت بتحريمه عليكم وهذا مجمع عليه في كل ملة والله اعلم فان الملل كلها قد اتفقت

على مراعاة

على مراعاة حفظ العقول والانفس والاموال والانساب والاعراض والظلم قد يقع
في هذه او بعضها الثالث فلا تظالموا اي لا يظلم بعضكم بعضا كما تعطيه صيغة قوله م
التفاعل والاصل فلا تتظالموا فحذفت احدى التاءين تخفيفا ولتعلم ان شرط
حذف احد المثلين تساوي الحركتين كما في الحديث فان اختلفا لم يجز الحذف لو قلت
تتواضع الامة وتتغافر الذنوب وما اشبه ذلك لم يجز الحذف فاعرفه وتجوز
تظالموا بتشديد الظا على ادغام احدى التاءين في الظا وبها جات رواية هكذا
والله اعلم الرابع قوله يا عبادي كلكم ضال الا من هديته اختلف في معناه على
قولين احدهما انهم لو تركوا مع العادات وما تقتضيه الطباع من الميل الى
الراحات واهمال النظر المودي الى المعرفة لغلبت عليهم العادات والطباع
فضلوا عن الحق وهذا هو الضلال المعنى لكن من اراد الله توفيقه الهمه الى اعمال
الفكر المودي الى معرفة الله سبحانه ومعرفة الرسل واعانه على الوصول الى ذلك
وعلى العمل بمقتضاه وهذا هو الهدى الذي امرنا بطلبه وبسواله الثاني من القولين
ان الضلال هنا يعني به الحال التي كانوا عليها قبل ارسال الرسل من الشرك
والكفر والجهالات وغير ذلك كما قال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين اي على حالة واحدة من الضلال والجهل فارسل الله الرسل
ليزيلوا عنهم ما كانوا عليه من الضلال ويبينوا لهم مراد الحق منهم في حالهم ومآل
امرهم فمن نبهه الحق ونصره واعانه فهو المهتدي ومن لم يفعل به ذلك بقي
على ذلك الضلال تنبيه قال ابن فرح رحمه الله تعالى وعلى كل واحد من التاويلين
فلا معارضة بين قوله تعالى كلكم ضال الا من هديته وبين قوله عليه السلام كل مولود يولد
على الفطرة لان هذا الضلال المقصود في هذا الحديث هو الطاري على الفطرة الاولى
المغير لها والذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم بالتمثيل في الحديث الاخر حيث قال

كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء قلت والبهيمة الجمعاء التي لم يذهب من بدنها شيء قال الجوهري
قال السنوسي قوله خلق الله الخلق على معرفته فاغتالتهم الشياطين وهذا الحديث حجة لاهل
الحق على قولهم ان الهدى والضلال خلقه وفعله يختص بما يشاء منهما من يشاء من خلقه
وانه في ذلك كله لا يعترض عليه لا هو كما قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وما تشاءون الا ان يشاء الله وقد نطق الكتاب
بما لا يبقى معه ريب لذي فهم سليم وهو قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم فعم الدعوة وخص بالهداية من سبقت له العناية
واستيفاء الكلام في علم الكلام وحاصل قوله كلكم ضال الا من هديته وكلكم جائع
وكلكم عار التنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا ودفع مضارنا بانفسنا
الا ان ييسر ذلك لنا بان يخلق ذلك لنا ويعيننا عليه ويصرف عنا ما يضرنا
وهو تنبيه على معنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومع ذلك قال في اخر
الحديث يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلومن الا نفسه تنبيها على ان عدم الاستقلال بايجاد الاعمال
لا ينافي خطاب التكليف اقداما عليها واحجاما عنها فنحن وان كنا نعلم انا
لا نستقل فنحن نحس بوجداننا الفرق بين الحركة الضرورية والاختيارية
ومدرك التفرقة راجعة الى تمكن محسوس وتات معتاد يوجد مع الاختيارية
ويفقد مع الضرورية وذلك هو المعبر عنه بالكسب وهو مورد التكليف
فلا تناقض ولا تعسف انتهى الخامس قوله ما نقص ما عندي الا كما ينقص
المخيط اذا دخل البحر المخيط بكسر الميم وسكون الخاء الابرة وظاهر الحديث
يقتضي ان يكون المعنى انه ما ينقص ما عند الله الا كما ينقص البحر اذا دخلته
الابرة اي فينقص منه قدر ابتلالها منه والمعتقد انه لا ينقص البتة واجيب

عن ذلك

عن ذلك ان ذلك بالنسبة الى راي العين اي فكما انه لا ينقص في راي العين فكذلك هو
في علم الله تعالى لا ينقص فيه البتة قال ابن فرح وهذا مثل قصد به التقريب للافهام
بما نشاهده فان ماء البحر من اعظم المرئيات واكبرها وغمس الابرة فيه لا يؤثر فيه
فضرب بذلك مثلا لخزائن رحمته تعالى وفضله فانها لا تنحصر ولا تتناهى وان ما اعطى
منها من اول خلق السموات وما يعطي منها الى يوم القيامة لا ينقص منها شيئا وهذا نحو
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر يمين الله سحاء الليل والنهار لا يغيضها شيء
ارايتم ما انفق مذ خلق السموات والارض لم يغض ما في يمينه وسر ذلك
ان قدرته صالحة للايجاد دائما لا يجوز عليها العجز ولا القصور والممكنات
لا تنحصر ولا تتناهى فما يوجد لا ينقص شيئا منها وبسط الكلام على هذه الاصول
في علم الكلام

الحديث الخامس والعشرون

عن ابي ذر ايضا رضي الله عنه
ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون
بفضول اموالهم قال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ان بكل تسبيحة
صدقة وبكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة
ونهي عن منكر صدقة وفي بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول الله اياتي
احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليه وزر
فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر رواه مسلم الكلام على الحديث من وجوه
الاول الاصحاب جمع صاحب وهو من الصفات التي استعملت استعمال الاسماء والاكثر
في جمعه صحبان وصحاب وقالوا صحابة بفتح الصاد على الاكثر وحكي كسرها وهو
اسم الجمع لا جمع واختلف في حد الصحابي فالمعروف عند المحدثين انه كل مسلم راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند اصحاب الاصول او بعضهم انه من طالت مجالسته.

على طريق التبع وعن سعيد بن المسيب انه لا يعد صحابيا الا من اقام مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة او سنتين وغزا معه غزوة او غزوتين قال الشيخ محيي الدين النواوي
رحمه الله تعالى في تقريبه فان صح عنه هذا فضعيف فان مقتضاه ان لا يعد جرير
البجلي وشبهه صحابيا ولا خلاف انهم صحابة ثم تعرف صحبته بالتواتر او الاستفاضة
او قول صحابي او قوله اذا كان عدلا وكذلك اختلف في التابعي على قولين احدهما
الذي راى صحابيا والثاني الذي جالس صحابيا كذا نقله الشيخ محيي الدين في تهذيب
الاسما واللغات له الثاني النبي ماخوذ من النبا الذي هو الخبر لانه مخبر عن الله
عز وجل وقيل من النبوة وهي الارتفاع لان الانبيا مرفوعو الاقدار على غيرهم
النبي ومن لم يهمزه فمن همز اخذه من النبا ومن لم يهمز احتمل ان يكون من النبوة او
من النبا على التسهيل فاما النبوة فقيل هي اختصاص العبد بخطاب الله تعالى
واطلاعه على وحيه محتملا للرسالة وعدمها والرسالة فعالة من ارسل وهي
اختصاص النبي بخطاب التبليغ فالرسالة اخص من النبوة كما ان الرسول اخص
من النبي الثالث الدثور جمع دثر مثل فلس وفلوس قال الجوهري وهو المال
الكثير يقال مال دثر ومالان دثر واموال دثر الرابع تصدقون الرواية
فيه بتشديد الصاد والدال جميعا والاصل تتصدقون فادغمت احدى
التاءين على ما تقدم في الصاد بعد ابدالها صادا ويجوز من حيث اللغة تخفيف
الصاد على حذف احدى التاءين على ما تقدم من شرط الحذف وهو مساواة الحركتين
الخامس قوله عليه السلام ان بكل تسبيحة صدقة والتقدير ان لكم بكل تسبيحة صدقة
فالخبر محذوف وهو متعلق المجرور الذي هو لكم وصدقة اسمها ولا يجوز ان يكون
بكل هو الخبر لعدم تمام المعنى واما قوله عليه السلام وبكل تكبيرة صدقة
وما بعده فروي بوجهين رفع صدقة ونصبها فالرفع على الاستيناف

والنصب على

والنصب على ان بكل تسبيحة صدقة ذكره ابن فرح رحمه الله تعالى قال القاضي عياض رحمه الله تعالى
يحتمل تسميتها صدقة ان لها اجرا كما ان للصدقة اجرا وان هذه الطاعات تماثل
الصدقات في الاجور وسماها صدقة على طريق المقابلة وتجنيس الكلام وقيل معناها
انها صدقة على نفسه وقال صاحب المفهم مقصود هذا الحديث ان اعمال الخير اذا
حسنت النيات فيها تنزلت منزلة الصدقات في الاجور لا سيما في حق من لا يقدر على
الصدقة ويفهم منه ان الصدقة في حق القادر عليها افضل له من سائر الاعمال القاصرة
على فاعلها السادس لا يفهم من قول الفقرا احسد الاغنيا وانما ذلك غبطة لاجل
وارادة المنافسة فيما بينا في قوله المتنا فسون من طلب زيادة الخير والارتقا
الى اقصى درجات القرب فلما فهم صلى الله عليه وسلم منهم ذلك المقصد اجابهم بقوله اوليس
قد جعل الله لكم ما تصدقون به الحديث تنبيه ولتعلم ان الاغنيا وان شاركوا الفقرا
في التسبيح وما ذكر معه فقد امتاز الفقرا عنهم بمزية جليلة وهي الحسرة التي يجدها
الفقرا عند عدم ما ينفقونه تقربا الى الله تعالى كما قال تعالى تولوا واعينهم تفيض من
الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون وقامت تلك الحسرة مقام الانفاق لان نية المومن
ابلغ من عمله ولان تسبيح الاغنيا مسبب عن سوال الفقرا وكل من يتعلم عنهم الى يوم القيمة
فانه في المعنى كانه من صدقتهم عليهم وشتان ما بين الصدقتين هذه صدقة الاذكار
وهي قوت الارواح وتلك صدقة الطعام والشراب وهي قوت الاشباح فان قلت
ظاهر هذا الحديث يشعر بتفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر لان الفقرا ذكروا
له عليه الصلاة والسلام ما يقتضي تفضيل الاغنيا بالتصدق فاقرهم على ذلك ولم يقل
لهم انتم افضل منهم لصبركم على فقركم بل علمهم ما يقوم مقام تلك الزيادة التي تفضلهم
الاغنيا بها فلما قالها الاغنيا ساووهم فيها وبقي معهم رجحة القرب المالية فقال
عليه السلام ذلك فضل الله يوتيه من يشا قلت ولعل قوله عليه السلام ذلك فضل الله يوتيه

بلغ مقابلة

من يشا في جانب الفقر الا في جانب الاغنيا على ما تاوله الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله تعالى
فقال ان معناه انكم فضلتم الاغنيا اوسا ويتموهم وان لم يكن لكم قربات اموال
وذلك تفضل الله تعالى والخلاف في هذه المسلة شهير والكلام عليها مبسوط في كتب
التصوف بعد ان تعلم ان الذي عليه الجمهور من الصوفية تفضيل الفقير الصابر
وقال الداودي من اصحابنا ان الافضل الكفاف فان الفقر والغنى محنتان يمتحن الله
بهما من يشا من عباده ولهذا قال عليه السلام اللهم اجعل رزق ال محمد كفافا او قال
قوتا هذا او معناه ووقفت طايفة عن التفضيل بينهما فهذه اقوال اربعة للعلما
رحمهم الله تعالى والتحرير عندي في هذه المسلة ما قاله شيخنا تقي الدين ابن دقيق
العيد رحمه الله تعالى قال والذي يقتضيه الاصل انهما ان تساويا وحصل الرجحان
بالعبادات المالية ان يكون الغنى افضل ولا شك في ذلك وانما النظر اذا تساويا
في ادا الواجب فقط وانفرد كل واحد بمصلحة ما هو فيه واذا كانت المصالح متقابلة
ففي ذلك نظر يرجع الى تفسير الافضل ما هو فان فسرناه بزيادة الثواب
فالقياس يقتضي ان المصالح المتعدية افضل من القاصرة وان كان الافضل
بمعنى الاشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي يحصل للنفس من التطهير
للاخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر اشرف فيترجح الفقير ولهذا المعنى
ذهب الجمهور من الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر لان مدار الطريق على تهذيب
النفس ورياضتها وذلك مع الفقر اكثر منه مع الغنى فكان افضل بمعنى اشرف
فهذا احسن كلام رايته في هذه المسلة والله تعالى يوفق من يشا ويهدي من يشا
الى صراط مستقيم السابع قوله وامر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة انما
ساغ الابتدا بالنكرة هنا لكونها عاملة وبيان ذلك ان بالمعروف يتعلق بامر
الذي هو المبتدا وعن منكر يتعلق بنهي الذي هو المبتدا ايضا وذلك احد المسوغات

للابتدا بالنكرة

للابتدا بالنكرة على ما هو مقرر في كتب العربية ونكرهما للابتدايه بان امرا ما ونهيا ما
صدقة والله اعلم وانظر لم عرف المعروف ونكر المنكر وكان ذلك والله اعلم اشارة
الى اصالة المعروف وثبوته وطرو المنكر عليه ونزوله وزهوقه والله سبحانه اعلم
الثامن قوله وفي بضع احدكم صدقة قال الجوهري البضع بالضم النكاح عن ابن السكيت
يقال ملك فلان بضع فلانة والمباضعة المجامعة وهي البضاع وقال غيره انه قد يطلق
على الفرج نفسه فنبه ان المجامعة نفسها عبادة يثاب عليها اذا انقدح منها نية صالحة
من اعفاف نفسه او اعفاف زوجته او قضا حقها من حيث الجملة او طلب ولد يقول
لا اله الا الله ولتكثر به الاسلام لقوله عليه السلام تناكحوا تناسلوا الحديث وقد كان عمر
رضي الله عنه يتزوج المراة لا قصد له فيها الا ارادة الولد للمكاثرة او ليموت فيكون له
اجرا كما في الحديث من مات له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة
القسم او كما قال التاسع قوله عليه السلام ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليه فيها وزر
الى اخره قيل فيه جواز القياس وهو مذهب العلما كافة ولم يخالف فيه الا اهل الظاهر
ولا يعتد بهم واما المنقول عن التابعين ونحوهم من ذم القياس فليس المراد به القياس
الذي يعهده الفقها المجتهدون وهو القياس المذكور في الحديث وهو قياس العكس
ونظمه كما يأثم في ارتكاب الحرام يوجر في فعل الحلال وحاصله راجع الى اعطا كل
واحد من المتقابلين ما يقابل به الاخر من الذوات والاحكام واختلف الاصوليون
في العمل به وهذا الحديث دليل لمن عمل به وهو الاصح والله اعلم العاشر في هذا الحديث
فضل التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وثوابهما اكثر من ثواب هذه الاذكار لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية
لا يقع نفلا بخلاف الذكر فانه يقع نفلا وثواب الواجب اكثر من ثواب النفل
ونقل امام الحرمين عن بعض العلما ان ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل

الجوهري بلغ الغلام الحنث اي المعصية والطاعة

سبعين درجة وتنافسوا في ذلك بحديث ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن الله عز وجل ما تقرب الي المتقربون بافضل من اداء ما افترضت عليهم الحديث والله الموفق

الحديث السادس والعشرون

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها او يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط الاذى عن الطريق صدقة رواه البخاري ومسلم الكلام على الحديث من وجوه الاول السلامى بضم السين وتخفيف اللام قال الجوهري والسلاميات بالضم عظام الاصابع قال ابو عبيد السلامى في الاصل عظم يكون في فرسن البعير قال الجوهري واحده وجمعه واحد وقد جمع على سلاميات وقال القاضي عياض في المشارق اي على كل عضو ومفصل اي على كل عظم واصله عظام الكف والاصابع والارجل ثم استعمل في ساير عظام الجسد ومفاصله وانما قال عليه الصلاة والسلام عليه ولم يقل عليها وان كانت السلامى مونثة حملا على معنى العضو او المفصل ومثله قوله تعالى واذا حضر القسمة الى قوله منه فالضمير يرجع الى المقسوم لان ذكر القسمة يدل عليه ويضعف قول من قال في هذا الحديث ان الضمير يرجع الى كل لان كلا بحسب ما تضاف اليه والمضاف اليه مونث والمضاف يكتسي من المضاف اليه التانيث والله اعلم وفي حديث عايشة رضي الله عنها خلق الانسان على ستين وثلثماية مفصل ففي كل مفصل صدقة قال صاحب الافصاح في هذا الحديث من الفقه ان الانسان اعطاه الله خلقه قال الله تعالى الذي اعطى كل شي خلقه وفي معنى الاية وجهان احدهما اعطى خلقه كل شي والثاني انه اعطى كل شي خلقه اي وهب للادمي خلقه فجملة عظام الادمي هبة من الله له وقال ابو عبيد معنى الحديث ان كل عضو من عظام ابن ادم اذا نظر

الادمي

الادمي في خلق نفسه وراى انه لو فقد عوزه عظم واحد لاختلت عليه حياته كما لو زاد وراى ان ذلك كله لم يكن له فيه صنع وان عظام الادمي طوال وقصار ودقاق وغلاظ فلو فقد قصر الطويل منها او طال القصير او دق الغليظ او غلظ الدقيق لاختل بذلك نفعه فاذا اصبح المومن وقد اعطي لين الحركة من تركيب العظام وجعلها له جسما صليبا لا يضعف منه انبوب ساقه عن حمل بدن نفسه وعن حمل حملة بدنه ايضا ولا عظم زنده عن اقلال حمل ما يرفعه بيده ولا عظام اضلاعه من وقاية حشاه ولا عظم يافوخه من صيانة دماغه تعين ان يشكر فاعل هذا به شكرا متحتما فنبه الشرع على ان تقابل هذه النعمة بما ذكر الا انه لطف به في تسمية ذلك صدقة مخرجا اياها مخرج ما يثاب عليه ويوجر فيه ثم احتسبها له بقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وامر بالمعروف ونهي عن المنكر ثم لطف به حتى جعل ذلك كله بان تصلي ركعتين من الضحى على معنى انه اذا قام قد عمته عظامه واذا ركع استوت له عظامه في ركوعه واذا سجد وجلس تذكر بها بين الركعتين مطاوعة الاعضاء له في جميع اشغاله فيكون بهاتين الركعتين جامعا لشكر هذه العظام عن جميع اشغالها من غير الصلاة كالنعمة بها عليه في الصلاة انتهى وقال سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه في الانسان ثلثماية وستون عرقا ماية وثمانون ساكنة وماية وثمانون متحركة فلو تحرك ساكن لم ينم ولو سكن متحرك لم ينم فالله تعالى المسوول ان يوزعنا شكر ما انعم به علينا امين الثاني قوله عليه السلام يعدل بين الاثنين صدقة الاصل ان يعدل لان الموضع موضع مبتدا خبره صدقة فهو مما حذفت فيه ان واكتفي بصلتها ونظيره قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا والاصل ان يريكم وهو في موضع المبتدا وخبره من اياته وقالوا تسمع بالمعيدي خير من ان تراه والاصل ان تسمع بدليل اثباتها في القرين وهو ان تراه قبله ويجوز ان يكون من باب ايقاع الفعل موقع المصدر ويكون الاصل سماعك بالمعيدي

وعليه قوله وقالوا اما نسنا فقلت الهوه الى الاصباح اثرد ى اثيره فاوقع الهو موقع لهو فعلى هذا يكون التقدير فى الحديث عدله بين الاثنين صدقه والاول اظهر والمعنى يصلح بينهما ففيه فضل الصلح بين الناس وهو موافق لقوله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد اجاز الشرع الكذب فى الاصلاح لقصد الالفه بين المسلمين وعدم التقاطع والتهاجر وكذلك فى ارهاب الكفار وعدة الرجل زوجته حسب ما جا فى الحديث الثالث الكلمة الطيبة يحتمل عندى وجهين احدهما ان يراد بها كلمة ذكر من تسبيح ونحوه والثانى ان يراد بها كلمة يطيب بها قلب اخيه المومن من دعا له او ثنا عليه بحق ونحو ذلك الرابع الخطوه بفتح الخا المرة الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطا مثل ركوه وركا والخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات وخطوات وخطوات والكثير خطا قاله الجوهرى الخامس قوله للام ويميط الاذى عن الطريق صدقة هو بضم اليا من يميط والاصل فيه ان يميط وهو كما تقدم فى يعدل سوا يقال ماط التى واماطه اذا نحى عنه وكذلك مطت عنى واطمته اى نحيته قال الاصمعى مطت انا وامطت غيرى ومنه اماطة الاذى عن الطريق والاذى هنا ما يوذى الناس فى طرقاتهم من نجاسة او حجارة ونحو ذلك وفى الحديث الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وقد اخبرنى بعض اصحابنا ان بعض العلما استحب ان يانى عند اماطة الاذى عن الطريق بكلمة التوحيد ليكون جامعا بين اعلى الايمان وادناه ويحتمل عندى وجها اخر وهو ان يكون المعنى بالاذى اذى المظالم ونحوها وبالطريق طريق الله تعالى وهو شرعه وحدوده ورسومه وذلك اعظم اجرا من ازالة الاذى الحسى بما لا يتقارب والله سبحانه اعلم والطريق يذكر ويونث الحديث

السابع والعشرون عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس رواه مسلم وعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جيت تسال عن البر قلت نعم قال استفت قلبك البر ما اطمانت اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك فى نفسك وتردد فى الصدر وان افتاك الناس وافتوك حديث حسن رويناه فى مسند الامامين احمد بن حنبل والدارمى باسناد حسن التعريف النواس بفتح النون وتشديد الواو وابن سمعان بكسر السين وفتحها ابن خالد بن عبد الله ابن قريط ابن عبد الله ابن ابى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن عمرو الكلابى ويقال الانصارى روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة عشر حديثا روى له مسلم ثلاثة احاديث وروى له ابو داود والترمذى وابن ماجه والنساى ووابصة بن معبد بن عتبة بن الحارث بن مالك بن الحرث بن قيس بن كعب بن سعد بن الحرث بن ثعلبة بن داود بن اسد بن خزيمة الاسدى يكنى ابا سالم ويقال ابو الشعثا ويقال ابو سعيد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة رهط من بنى اسد سنة تسع فاسلموا ورجع الى بلاد قومه ثم نزل الجزيره وسكن الرقه وقدم دمشق وكانت له بها دار بقنطره سنان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن مسعود وخريم بن فاتك وام قيس بنت محصن روى عنه ابناه سالم وعمرو والشعبى وعمرو بن راشد وشداد مولى عياض بن عامر وشبيبه بن دسم ابو الوضاه الشامى وزياد بن ابى الجعد وزر بن حبيش وايوب بن عبد الله بن مكرز وابو سكينة الحمصى وقال محمد بن سعيد الرقى سمعت ابا الهيثم محمد ابن عبد الصمد ابن عبد الرحمن الوابصى يقول توفى وابصة بالرقه وقبره بها عند منارة مسجد جامع الرقه حدث عنه من اولاده عمرو وسالم وكان رجلا فاضلا بكا

لا يملك دمعه روى له ابو داود والترمذى وابن ماجه ثم الكلام على الحديث من وجوه
الاول البر بخلاف العقوق والمبرة مثله تقول برّ برّت والذى بالكسر ابره برا فانا بر
به وبار وجمع البر الابرار وجمع البار البررة الثانى حسن الخلق قد تقدم تفسيره
وانه طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل المعروف وقيل هو الانصاف فى المعاملة
والرفق فى المحاولة والعدل فى الاحكام والبذل والاحسان وقوله عليه السلام البر
حسن الخلق اى معظم البر كقوله الحج عرفة والدين النصيحة فهو من الحصر المجازى
كما تقدم وهذا من وجيز لفظه وبليغه الله اعلم حيث يجعل رسالاته وكان المراد
بالخلق هنا التخلق على ما تقدم والله اعلم الثالث قوله والاثم ما حاك فى نفسك
الاثم الذنب يقال اثم الرجل بالكسر اثما ومأثما اذا وقع فى الاثم فهو آثم واثيم واثوم
ومعنى حاك فى النفس اثر فيها ورسخ واستقر يقال حاك فيه السيف واحاك
بمعنى والحيك اخذ القول فى القلب يقال ما يحيك فيه الملام اى ما يؤثر فيه قاله
الجوهرى وهذا الجواب انما يجاب به اللبيب الفطن الحاذق الفهم دون الجاهل
الغليظ الطبع البعيد الادراك فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس قدر
عقولهم قالت عائشة رضى الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس
منازلهم وهذا كما جا فى الحديث الاخر الاثم حزاز القلوب وفى رواية حواز
القلوب ضبطه الجوهرى بتشديد الزاى حزاز ليس الا وما اكثر ما يستعمله الناس
مخففا قال والحزاز ما حز فى القلب وكل شى حك فى صدرك فقد حز قال صاحب
الافصاح الاثم ما حاك فى صدرك هذا اصل يتمسك به لمعرفة الاثم من البر
فانه قد يطمئن القلب للعمل الصالح طمانينة تبشره من العاقبة والاثم يحيك
فى الصدر عن غير طمانينة لانه لا يقر الشرع اليه وانما يكون على وجه يستند
وتاويل يحتمل الا ان عباره يظهر بان يكره صاحبه اطلاع الناس عليه والناس هنا

وان كان

وان كان مذكورا بالالف واللام فهو ينصرف الى وجوه الناس واماثلهم لا الى رعاعهم فذلك
حينئذ هو الاثم فليتركه وهذا ما زال ظاهرا معروفا حتى قال زهير
الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر وفى هذا الحديث معجزه
من معجزاته عليه الصلاة والسلام وهى اخباره بما فى نفس السائل من السوال عن البر قبل
ان يتكلم بذلك

الحديث الثامن والعشرون

عن ابى نجيح العرباض بن سارية
رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت
منها العيون فقلنا يا رسول الله كانها موعظة مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله
والسمع والطاعة وان تامر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا
فعليكم بسنتى وسنة الخلفا الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة رواه ابو داود والترمذى وقال حديث
حسن صحيح التعريف عرباض بن سارية السلمى يكنى ابا نجيح كان من اهل الصفة
وهو احد البكائين نزل الشام وسكن حمص قال محمد بن عوف كل واحد من عمرو بن عبسة
والعرباض بن سارية يقول انا رابع الاسلام لا يدرى ايهما اسلم قبل صاحبه وكان
عتبة بن عبد يقول عرباض خير منى روى عنه ابو امامة الباهلى وابو رهم احزاب
بن اسيد السماعى وتقال السمعى وابنته ام حبيبة بنت العرباض وغيرهم روى
له ابو داود والترمذى والنساى وابن ماجه ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول
الوعظ النصح والتذكير بالعواقب يقال وعظته وعظا وعظة فاتعظ قبل الموعظه
قاله الجوهرى والوجل الخوف تقول منه وجل يوجل وياجل وييجل وييجل اربع
لغات وتوجيهها فى كتب العربيه وقد تقدم الكلام على القلب فى الحديث
مستوعبا الثانى قوله ذرفت منها العيون هو بالذال المعجمه وفتح الرا يقال ذرف
الدمع يذرف ذرفا وذرفانا اذا سال وذرفت عينه سال الدمع فيه قال العالم

منهما

بعظ اصحابه ويذكرهم ويخوفهم ويشوقهم ولا يقتصر بهم على معرفة الاحكام والحدود
والرسوم الثالث قوله عليه السلام اوصيكم بتقوى الله قد تقدم ان التقوى امتثال
ما امر الله تعالى به واجتناب ما نهى عنه واصلها وقوى مشتقة من الوقاية والاصل
فيها وقاية الشى التي تستر بها المراة راسها تقيها من غبار وحر وبرد ونحو ذلك
بكسر الواو وقد تفتح فابدلت الواو تا كما ابدلت في تراث وتخمة وتكاه والاصل
وراث ووخمه ووكاه وقد استوعبت الكلام على هذه اللفظة في الغاية القصوى
في الكلام على اية التقوى فالمتقي جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه
وبينها من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك فلذلك قيل له متق رزقنا الله
التقوى واعاننا على ذلك امين بمنه ولطفه الرابع قوله عليه السلام وان تامر عليكم
عبد قال العلما العبد لا يكون واليا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب به المثل
على طريق التقدير وان لم يكن كقوله صلى الله عليه وسلم من بنى لله تعالى مسجدا ولو كمفحص
قطاة بنى الله له بيتا في الجنة ولا يكون مفحص القطاة مسجدا ولكن الامثال
ياتي فيها مثل هذا قال القاضي ابو بكر ابن العربي رحمه الله تعالى والذى عندى
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بفساد الامر ووضعه في غير اهله حتى توضع
الولاية في العبد فاذا كانت فاسمعوا واطيعوا تغليبا لاهون الضررين
وهو الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته لئلا يغير ذلك فيخرج منه الى فتنة
عميا صما لا دوا لها ولا خلاص منها وقد ذكر في رواية تعدد الولاة وظلمهم
فقال اسمعوا واطيعوا ما اقاموا فيكم كتاب الله قلت وهذا واقع اليوم لا محالة
ولا حاجة بنا الى التعيين فهذه من معجزاته صلى الله عليه وسلم واخباره بما سيكون
وقد كان الخامس قوله عليه السلام عليكم بسنتي السنة في اصل اللغة السيرة وفي
الشرع ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه واظهره في الجماعة ولم يدل دليل

على وجوبه

على وجوبه ومرادهم بذلك السنة التي تقابل الفرض والمراد بها في الحديث اعم من ذلك
وهو اتباع ما اصله صلى الله عليه وسلم من امر ونهي وجوبا وندبا واباحة بعد تصحيح
العقايد الايمانية التي عليها تنبني الاحكام الشرعية السادس قوله عليه السلام
وسنة الخلفا الراشدين المهديين من بعدى الاربعة وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي الله عنهم وعن الصحابة اجمعين وهم الذين شملهم الهدى وحسن الهدى وانفذ الله
فيهم وعده وانهى حده في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا وقد قال عليه السلام
اقتدوا باللذين من بعدى ابي بكر وعمر فخص من الاربعة اثنين وقال للمراة
التي سالته وامرها ان ترجع اليه فقالت له فان لم اجدك فقال تجدين ابا بكر فخصه
من الاثنين وهذا خصوص خصوص الخصوص وامره صلى الله عليه وسلم بالثبات
على سنة الخلفا يكون لامرين احدهما التقليد لمن عجز عن النظر والثاني الترجيح
عند اختلاف الصحابة رضي الله عنهم فتقدم الحديث الذي فيه الخلفا او ابو بكر وعمر
الى هذه النزعة كان مالك يذهب ونبه عليه في الموطا قاله ابن العربي رحمه الله تعالى
السابع قوله عليه السلام عضوا عليها بالنواجذ العض كله بالضاد الا عظ الزمان
فانه بالظا قال وعظ زمان يا بن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف
والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ وهو اخر الاضراس وللانسان اربعة نواجذ
في اقصى الاسنان بعد الارحى ويسمى ضرس الحلم لانه ينبت بعد البلوغ وكمال
العقل يقال ضحك حتى بدت نواجذه اذا استغرب في الضحك والمعنى عضوا
عليها بجميع الفم لا تنهشا وهو الاخذ باطراف الاسنان وهذا من احسن الاستعارة
وابلغ المجاز وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس ومنه قوله تعالى الله نور السموات

والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ونوره تعالى معقول لا محسوس فاعرفه
الثامن مقوله عليه السلام واياكم ومحدثات الامور كلاهما منصوب بفعل مضمر والتقدير
اياكم باعدوا واتقوا محدثات الامور تحذيرا من الحدث في الدين واتباع غير سنن
الخلفا الراشدين قال القاضي ابو بكر المحدث على قسمين محدث ليس له اصل الا
الشهوة والعمل بمقتضى الارادة فهذا باطل قطعا ومحدث بحمل النظير على النظير
فهذه سنة الخلفا والايمة الفضلا وليس المحدثة مذموما للفظ محدث وبدعة
الا للمعنى قال الله عز وجل ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال عمر رضي الله عنه
نعمت البدعة هذه وانما يذم من البدعة ما خالف السنة ويذم من المحدث
ما دعا الى الضلالة فايده قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله تعالى في اخر
كتاب القواعد البدعة منقسمة الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة
قال والطريق في ذلك ان تعرض البدعة على قواعد الشريعة فان دخلت في قواعد
الايجاب فهي واجبة او في قواعد التحريم فمحرمة او الندب فمندوبة او الكراهية
فمكروهة او المباح فمباحة وللبدع الواجبة امثلة منها الاشتغال بعلم النحو
الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك واجب لان حفظ
الشريعة واجب ولا يتاتى حفظها الا بذلك وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب
الثاني حفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة الثالث تدوين اصول الفقه
الرابع الكلام في الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم وقد دلت قواعد
الشريعة على ان حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين ولا يتاتى ذلك
الا بما ذكرناه وللبدع المحرمة امثلة منها مذاهب القدرية والجبرية والمرجية
والمجسمة والرد على هولا من البدع الواجبة وللبدع المندوبة امثلة منها احداث
الربط والمدارس وكل احسان لم يعهد في العصر الاول ومنها التراويح والكلام

في دقائق

في دقائق التصوف والجدل ومنها جمع المحافل للاستدلال في المسايل ان قصد بذلك
وجه الله تعالى وللبدع المكروهة امثلة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف
وللبدع المباحة امثلة منها المصافحة عقب الصبح والعصر قلت واختار الشيخ
محيي الدين انه ان صافح من كان معه قبل الصلاة فمباحة كما ذكر وان صافح من لم يكن
معه قبلها فمستحبة لان المصافحة عند اللقا سنة بالاجماع للاحاديث الصحيحة
في ذلك وكونه خصها ببعض الاحوال وفرط في اكثرها لا يخرج ذلك البعض
عن كونه مشروعا فيه والله اعلم ومنها التوسع في اللذيذ من الماكل والمشارب
والمساكن ولبس الطيالسة وتوسيع الاكمام وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله
العلما من البدع المكروهة ويجعله اخرون من السنن المفعولة في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما بعده كالاستعاذة في الصلاة والبسملة هذا اخر كلامه وروى
البيهقي باسناده في مناقب الشافعي عن الشافعي رضي الله عنه قال المحدثات من الامور
ضربان احدهما ما احدث مما يخالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا فهذه البدعة
الضلالة والثاني ما احدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا وهذه محدثة غير
مذمومة وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان نعمت البدعة هذه يعني
انها محدثة لم تكن وان كانت ليس فيها رد لما مضى والله اعلم **الحديث التاسع
والعشرون** عن معاذ رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني
الجنة ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى
عليه تعبد الله لا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان
وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة
كما يطفي الما النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع
حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد

بلغ

ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك

كله فقلت بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يا نبي الله وانا لمواخذون
بما نتكلم به فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصايد
السنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول
هذا الاستعظام منه عليه السلام هل ينصرف الى العمل المطلوب الاخبار به او لنتيجته
وهو دخول الجنة والبعد عن النار وهو الظاهر الا نراه قال وانه ليسير على من يسره الله تعالى
عليه وما يريد الا العمل وقد فسره فقال تعبد الله الى اخره الثاني قد تقدم ان اقامة
الصلاة هي الاتيان بها بالشروط المصححة والمكملة او اقامتها المداومة عليها الخلاف
المتقدم وتقدم الكلام على الزكاة والصوم والحج في الحديث الثاني بما يغني عن الاعادة
الثالث قوله عليه السلام الا ادلك على ابواب الخير فيه التشويق الى ما سيذكر قبل ذكره
ليكون اوقع في النفس وقد تقدم مثل ذلك والخير ضد الشر واما قوله تعالى ان ترك
خيرا فالمراد به المال قال الجوهري والخير بالكسر الكرم والخيرة الاسم من قولك خار الله
لك في هذا الامر والخيرة مثال العنبة الاسم من قولك اختاره الله تعالى تقول محمد
صلى الله عليه وسلم خيرة الله من خلقه وخيرة الله ايضا بالتسكين والاختيار الاصطفا
وكذلك التخير والاستخارة طلب الخير يقال استخر الله يخر لك وانما قال عليه السلام
ابواب بصيغة جمع القلة وان كان في سياق الترغيب والحض لانه لا كثرة له فهو كاذان
واقلام واقسام ونحو ذلك مما لا كثرة له وعلاقة المجاز فيه انه كان الباب منه يدخل
الى البيت ونحوه فكذلك يدخل الى الخير من بابه فشبه المعقول فيه بالمحسوس كما تقدم
وقوله الصوم جنة اي مجنة وستر من النار والمراد بالصوم هنا غير الفرض وكذلك
قوله عليه السلام والصدقة تطفي الخطية انما يراد بها صدقة النفل لا الفرض وقد تقدم
قوله عليه السلام والصدقة برهان في الحديث الثالث والعشرين اي برهان على ايمان صاحبه

الرابع قوله

الرابع قوله عليه السلام وصلاة الرجل من جوف الليل اختلف في الافضل من اوقات الليل فمذهبنا
انه الثلث الاخير منه وكذلك قال الشافعي اخر الليل احب الي من اوله قال فان جزا الليل
اثلاثا فالثلث الاوسط افضل واستدل له بحديث داود كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه الحديث الى اخره وفيه نظر والله اعلم وفي الحديث من قام من الليل
قد ركعتين كتب من قوام الليل وهل يشترط ان يكون قيام الليل بعد النوم او لا يشترط
ذلك وظاهر الحديث الاطلاق وبين العلما في ذلك خلاف والله اعلم الخامس قوله ثم تلا
تتجافى جنوبهم حتى بلغ يعملون معنى التجافي الترك والتنحي جافى جنبه عن مضجعه
اذا نحاه وفي الحديث يجافي بضبعيه اي يبعدهما عن الارض وعن جوفه فقوله تعالى
تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي تبعد وتزول وقيل التجافي التنحي الى فوق واستحسنه
ابن عطية والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم واختلف المفسرون في وقت هذا التجافي
فعن انس بن مالك قولان احدهما الصلاة بين المغرب والعشا والثاني انتظار العشا
الاخرة لانها كانت توخر الى نحو ثلث الليل وقال الضحاك تجافي الجنب هو ان يصلي الرجل
العشا والصبح في جماعة قال ابن عطية وجمهور المفسرين على ان المراد صلاة النوافل
بالليل قلت وهو ظاهر هذا الحديث لتعبيره عليه السلام له بصلاة الرجل من جوف الليل
ولا يراد بذلك الا النوافل قال ابن عطية ورجح الزجاج هذا القول بانهم جوزوا باخفا
فدل ذلك على ان العمل اخفا ايضا وهو قيام الليل قلت يريد بقوله جوزوا باخفا
ما في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون وقد جا ان الله تعالى
يباهي بقوام الليل في الظلام الملائكة يقول انظروا الى عبادي قد قاموا في ظلم الليل حيث
لا يراهم احد غيري اشهدكم اني قد ابحتهم دار كرامتي السادس قوله عليه السلام الا اخبركم
براس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد جعل الامر كالفحل من الابل وكانت الابل
خيار اموالهم ويشبهون بها روسا هم كما قالوا هو الفحل لا يقرع انفه فجعل الجهاد

راس هذا الامر ولا يعيش الحيوان في العادة بغير راس والعمود هو الذي يقيمه ولا ثبات
له في العادة بغير عمود والذروة بكسر الذال وضمها والقياس جواز الفتح لجذوه
وقد قرئت بالحركات الثلاث اعلا كل شي وذروة سنام البعير طرف سنامه قال
ابن فرح والجهاد لا يعادله شي من الاعمال قلت ليس هذا على اطلاقه وعمومه فان تعلم
طلب العلم افضل من الجهاد واما اذا تعين كل واحد منهما فلا كلام وفي الخبر انه يوزن
مداد العلما ودم الشهدا يوم القيمة فيرجح مداد العلما على دم الشهدا ومعلوم ان اعلا
ما للشهيد دمه وادنى ما للعالم مداده فان لم يف دم الشهيد بمداد العالم كان ما ورا
دم الشهيد من سائر فنون الجهاد كلا شي بالاضافة الى ما فوق المداد من فنون العلم
وذكر ابن ابي زيد عن ابن القاسم انه قال روي ان الرسول عليه السلام قال ما جميع اعمال
البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع اعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة
في بحر انتهى قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى في كتابه اجماع الايمة الاربعة اختلفوا
في افضل الاعمال بعد الفرايض فقال الشافعي الصلاة افضل الاعمال البدنية وتطوعها
افضل التطوع وقال احمد لا علم بعد الفرايض افضل من الجهاد واما مالك وابو حنيفة
فمذهبهما انه لا شي بعد فرض الاعيان من اعمال البر افضل من العلم ثم الجهاد والله اعلم
وقد استوعبت الكلام على هذا المعنى في صدر شرح رسالة ابن ابي زيد رحمه الله تعالى
السابع قوله عليه السلام الا اخبرك بملاك ذلك كله قال الجوهري ملاك الامر وملاكه
يريد بفتح الميم وكسرها ما يقوم به ويقال القلب ملاك الجسد الثامن قوله
فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا اللسان جارحة الكلام واللسان اللغة والكلام
قال الله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم انشد ابو علي في تكملته
لابي زيد ندمت على لسان كان مني فليت بانه في جوف عكم ثم قال فهذا لا يكون
الا اللغة والكلام لان الندم لا يقع على الاعيان واللسان لسان الميزان واما

اللسن

واما اللسن بكسر اللام فاللغة لكل قوم لسن اي لغة يتكلمون بها فاما الجارحة فتذكر
وتونث قال ابو علي ولغة القران التذكير ومجي الجمع فيه على افعلة نحو قوله تعالى
واختلاف السنتكم يدل على ذلك قلت يريد ان القاعدة في ذلك ان كل اسم كان على اربعة
احرف ثالثه حرف مد ولين ان كان مذكرا جمع على افعلة نحو خوان واخونة وعمود
واعمدة ورغيف وارغفة وان كان مونثا جمع على افعل نحو عناق واعنق وذراع
واذرع وقد جا في القران على افعلة فدل على التذكير واما من انثه فيقول السن
كاعنق قال الجوهري وقد يكنى بها عن الكلمة فتونث حينيذ قال اعشى باهلة
اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر لطيفة بيانية انما اخذ
عليه الصلاة والسلام بلسان نفسه ولم يستغن عن ذلك بقوله كف عليك لسانك
لما تمهد من ان الامور العقلية متاخرة عن الادراكات الحسية في الزمان فلا جرم
كانت النفس بالحسيات الف فاذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته بالتمثيل
الحسي كنت ناقلا له من الخفا الى الظهور حتى ان العقلي المقتضي قد يزيده التمثيل
بالحسي زيادة قوة كما في قول ابرهيم صلى الله على نبينا وعليه ولكن ليطمين قلبي ولو قلت
والله لا تنال منه قدر خردلة كان جعلك الخردلة في كفك واشارتك اليها ابلغ
وذلك بان تقول والله لا تنال منه قدر هذه الخردلة وكذلك لو قلت عند اشارتك
الى الما والنار هذا وذا كيف يجتمعان كان ابلغ مما اذا قلت الما والنار كيف يجتمعان
فتلك لها لطيفة ما احلاها وفايدة ما اسناها والله المحمود على توفيقه التاسع
قوله عليه السلام ثكلتك امك الثكل فقدان المراة ولدها وكذلك الثكل بالتحريك
وامراة ثاكل وثكلى وثكلته امه ثكلا وهذا من باب تربت يمينك وعقرى حلقى
مما لا يراد به حقيقة الدعا على المخاطب العاشر قوله عليه السلام وهل يكب الناس
الى اخر الحديث كبت من النوادر فانه يتعدى ثلاثيا ولا يتعدى رباعيا تقول

كبيت السّي واكب هو فلا تتعدى والحصا به ما قيل في الناس باللسان وقطع به عليهم
قاله الجوهري في هذا الحديث وقد تقدم ما في الصمت وقلة الكلام في حديث من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت فلا معنى لاعادته الا التكرار وربك العزيز
الغفار **الحديث الموفي ثلاثين** عن ابي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرايض فلا تضيعوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشيا فلا تنتهكوها وسكت عن اشيا رحمة لكم
غير نسيان فلا تبحثوا عنها حديث حسن رواه الدارقطني وغيره التعريف جرثوم
بن ناشر وقيل ناشب وقيل ناشم وقيل جرهم بن ناشر وقيل جرثوم بن الاشتر
بن النضر ابو ثعلبة الخشني كذا قال ابن العرقي ونسبه في خشين الى الحاف بن قضاعة
بن مالك بن حمير وهو مشهور بكنيته كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له بسهمه يوم
خيبر وارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه فاسلموا نزل الشام ومات اول
امرة معوية وقيل مات في امرة يزيد وقيل توفي سنة خمس وسبعين في امرة عبد الملك
والاول اكثر روى عنه ابو ادريس الخولاني وجبير بن نفير ومسلم بن مشكم روى
له الجماعة ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول يقال فرض الله علينا وافترض
والاسم الفريضة والجمع الفرايض اي اوجبه وحتم والزم والفرض ضد النفل والفريضة
ايضا ما فرض في السايمة من الصدقة يقال افرضت الماشية اي بلغت نصابا تجب
فيه الفريضة والفريضتان الجذعة من الغنم والحقة من الابل والفريضة في المواريث
معروفة ومعنى فلا تضيعوها لا تتركوها واتوا بها وتوابعها وقوموا بها كما فرض عليكم
الثاني الحدود جمع حد وهو الحاجز بين الشيئين وحد الشيء منتهاه تقول حددت
الدار احدها حدا والتحديد مثله ومعنى فلا تعتدوها لا تجاوزوها وقفوا عندها
الثالث قوله عليه السلام وحرم اشيا فلا تنتهكوها اي لا تتناولوها ولا تقربوها وانتهاك

الحرمة

الحرمة تناولها بما لا يحل وهذا من الكلام الجامع البليغ مع الايجاز والاختصار وقد
اشتمل هذا الحديث على جملة الشريعة حكما وادبا الرابع قوله عليه السلام وسكت عن اشيا
الى اخر الحديث هذا موافق لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم
تسوكم وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتركوني
ما تركتكم فاذا حدثتكم فخذوا عني فانما هلك الذين من قبلكم بكثرة مسايلهم واختلافهم
على انبيايهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم غاية الرفق ودفع الحرج عنهم وارادة التسهيل
عليهم وكان صلى الله عليه وسلم يترك العمل خوفا ان يفرض عليهم وقال لو قلت نعم لوجب
حين سئل عن الحج افي كل عام هو ام في عام واحد واشباه ذلك تنبيه يستلوح
من قوله عليه السلام وسكت عن اشيا رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ان الاشيا قبل
ورود الشرع على الاباحة هكذا قاله بعضهم وظاهر الحديث عندي ان لا حكم البتة
وهذا هو الصحيح في الاصول خلافا للابهري من اصحابنا القايل بالحظر ولابي الفرج
القايل بالاباحة المسالة مبسوطة في كتب الاصول وانما المقصود التنبيه على
ما يفهم من فحوى الحديث والله سبحانه الموفق في القديم والحديث ومما ينبه عليه ايضا
هنا ان معنى سكت عن اشيا لم ينزلها عليكم ولا حكم فيها بحكم لا انه السكوت على ظاهره
اذ ذلك مستحيل في حقه تعالى اذ هو سبحانه وتعالى متكلم على الدوام والكلام من
صفاته القديمة المتعلقة بذاته عز وجل **الحديث الحادي والثلاثون**
عن ابي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته احبني الله واحبني الناس فقال ازهد
في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس حديث حسن رواه ابن ماجة
وغيره باسانيد حسنة التعريف سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة
بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الساعدي الانصاري

المدنى يكنى ابا العباس وقيل ابو يحيى كان سنه يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنه
وتوفى سنه ثمان وثمانين وقيل سنه احدى وتسعين بالمدينه وهو آخر من مات من الصحابه
بالمدينه وقيل اخر من مات بالمدينه جابر بن عبد الله كما تقدم والله اعلم ومات وله
مايه سنه واحصى سبعين امراة شهد قضا النبى صلى الله عليه وسلم فى المتلاعنين وانه
فرق بينهما كان اسمه حزنا فغير النبى صلى الله عليه وسلم اسمه فسماه سهلا روى له
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مايه حديث وثمانيه وثمانون حديثا اتفقا على ثمانيه
وعشرين وانفرد البخارى باحد عشر روى عنه الزهرى وابو حازم سلمة بن دينار
وسعيد بن المسيب وابو زرعة عمرو بن جابر الحضرمى وبكر بن سواده وغيرهم
روى له الجماعه ثم الكلام على الحديث من وجوه الاول هذا الحديث احد الاحاديث
الاربعه التى عليها مدار الاسلام كما تقدم وهو من جوامع الكلم كما تقدم الثانى الزهد
فى اللغه خلاف الرغبه تقال زهد عن الشى وفى الشى زهدا وزهاده وزهد بالفتح
لغة والمزهد القليل المال وفى الحديث افضل الناس مومن مزهد والزهيد القليل يقال
رجل زهيد الاكل وواد زهيد قليل الاخذ للما واذا علمت حقيقة الزهد لغة فلابد
من معرفته شرعا وقد اختلف العلما فى ذلك اختلافا كثيرا لا نطول بذكره اذ ليس هذا
الكتاب موضوعا لذلك والمرجح عند بعضهم انه استصغار الدنيا بجملتها والاحتقار
لجميع شانها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره ايانا وتحذيره من غرورها فى غير ما ايه
من كتابه تعالى من ذلك قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى وقوله تعالى
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كما
انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام الى قوله والله يدعو
الى دار السلام ويهدى من يشا الى صراط مستقيم لانها اذا كانت عنده صغيره حقيره
هانت عليه فتركه منها زهدا فيها كل ما لا فايدة فيه من التنعم به فيها من المطعم

والمشرب

والمشرب والملبس والمركب والمسكن والتلذذ بملاذها والخلود فيها الى الراحات ولم ياخذ
من ذلك كله الا القوام عيشه او ما كان زايدا على ذلك مما ندب الى اخذه كاتخاذ ثوبى الجمعه
ولباس ما يضره لباس ما دونه لان الله عز وجل يحب ان يرى اثر نعمته على عبده كما جا
فى الحديث وكالراحة التى يستعين بها على الطاعة على ما جا عن معاذ بن جبل من قوله لابى
موسى فاما انا فانام اوله الليل واقوم اخره واحتسب نومتى كما احتسب قومتى فهذا
هو الزهد فى الدنيا واما ترك ما يجب تركه من المحرمات فلا يسمى زهدا ولا طاعة نعم ان نوى
تركه امتثال امر الله تعالى اثيب على ذلك واما ترك ما يجب اخذه من قوام نفسه ومن
تلزمه نفقته فمعصيته يستحق عليها العقوبه فالزاهد اذا هو المستصغر للدنيا
المحتقر لها الذى انصرف قلبه عنها لصغر قدرها عنده فلا يفرح بشى منها ولا يحزن
على فقده ولا ياخذ منها الا ما امر باخذه وما يعينه على طاعة ربه ويكون مع ذلك
دايم الشغل بذكر الله تعالى وذكر الاخره والفكر فيها لا ينتقل عن ذلك ابدا الى ما هو فى
معناه من ذكر الله تعالى وذكر الاخره على قدر الاحوال وطلب القربه لا لملاله وطلبا
للاستراحة منه بما هو اخف عليه بما فيه تسليه لنفسه وهذا هو ارفع احوال الزهد
لان من بلغ الى هذه المرتبة منه فهو فى الدنيا بشخصه وفى الاخره بروحه وعقله قد
غلب وسواس الشيطان واستحق الثواب الجزيل من الله تعالى والرضوان تنبيه
قال العلما الدنيا عبارة عما حواه الليل والنهار واظلته السما واقلته الارض هذه
ذاتها وحقيقتها واما المزهود فيه منها فقال الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى
فى ذلك ثلاثه اقوال فقيل الدنيا الدرهم والدينار وقيل المطعم والمشرب والملبس
والمسكن وقيل الحياه فكانوا يزهدون فى الحياه والذى اعتقده ولا ارتاب فيه
ان دنيا كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذه
وكلام الامير بين اجناده وما اشبه ذلك دنيا بالنسبه اليهم الا ان يقصد بذلك

وجه الله تعالى والدار الاخرة وهذا لا يكاد يصح الا من موفق قد لاح له من عالم الاخرة لائح
فاشتاق الى لقا مولاه وغلب شيطانه وهواه فعزفت نفسه عن الدنيا وتقمص لباس
التقوى كما قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم اصبحت مومنا حقا فقال له ان لكل حق
حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها
وكاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة في الجنة ينعمون واهل النار
في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم هذا او قريب منه خليلي لا والله ما انا
اذا علم من آل ليلى بداليا فمثل هذا تكون الدنيا له سجنا ومقامه فيها هما وغبنا
كما قال عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر فنسال الله تعالى التوفيق والهداية
الى اقوم طريق بمنه وفضله قال القاضي ابو الوليد ابن رشد رحمه الله تعالى اما
المزهود من اجله الباعث على الزهد والذي عنه يكون الزهد فخمسة اشيا احدها
انها فانية شاغلة للقلوب عن التفكر في امر الله والثاني انها تنقص عند الله درجات
من ركن اليها والثالث ان تركها قربة من الله تعالى وعلو مرتبة عنده في درجات الجنة
والرابع طول الحبس والوقوف في القيمة للحساب والسوال عن شكر النعم والخامس
رضوان الله عز وجل والامن من سخطه وهو اكبرها قال الله عز وجل ورضوان من الله
اكبر قلت ولو لم يكن في الزهد في الدنيا الا هذه الخصلة التي هي رضوان الله تعالى
كان ذلك كافيا فنعوذ بالله تعالى من ايثار الدنيا على ذلك وقد قيل من سمي باسم الزهد
فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا
والاخرة فالزهاد هم الملوك في الحقيقة كما قال بعضهم • ارى الزهاد في راح وراحة
قلوبهم عن الدنيا مزاحة • اذا ابصرتهم ابصرت قوما • ملوك الارض شيمتهم سماحة
وهم العقلا لايثارهم الباقي على الفاني وقد قال الشافعي رضي الله عنه لو اوصى لاعقل الناس
صرف الى الزهاد وكم بين من شغله الله وبين من شغلته الدنيا شتان ما بين الشغلين

تشاغل

تشاغل قوم بدنياهم • وقوم تخلوا لمولاهم • فالزمهم باب مرضاته • وعن سائر الخلق اغناهم
وفي الودعانية عن ابي هريرة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لرجل يعظه ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس
ان الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والاخرة والراغب في الدنيا يتعب قلبه
وبدنه في الدنيا والاخرة ليجيئن يوم القيمة اقوام لهم حسنات كامثال الجبال فيومر
بهم الى النار فقيل يا نبي الله او يصلون قال كانوا يصلون ويصومون وياخذون وهنا
من الليل لكنهم كانوا اذا لاح لهم شي من الدنيا وثبوا عليه ولو جيتنا نورد ما جا في الزهد
لخرجنا عن شرط الكتاب والله الموفق للصواب الثالثة قوله عليه السلام يحبك الله هو بفتح البا
المشددة والاصل يحببك بكسر الاولى وسكون الثانية مجزوم على جواب الامر الذي
هو ازهد في الدنيا فاسكنت البا الاولى عند ارادة الادغام ثم نقل حركتها الى الساكن
قبلها وهو الحا فاجتمع ساكنان فحرك الاخرة لالتقا الساكنين بالفتح تخفيفا ولا بد من
ذكر حقيقة المحبة هنا بالنسبة الى الله عز وجل فنقول قال الامام ابو عبد الله المازري
رحمه الله تعالى الباري تعالى لا يوصف بالصفة المعهودة فينا لانه متقدس عن ان
يميل او يمال اليه وليس بذي جنس وطبع فيوصف بالشوق الذي تقتضيه الجنسية
والطبيعة البشرية وانما محبته سبحانه للخلق ارادته لثوابهم وتنعيمهم على راي بعض
اهل العلم وعلى راي بعضهم ان المحبة راجعة الى نفس الاثابة والتنعيم لا الارادة
قلت فعلى الاول تكون صفة ذات وبه قال ابن فورك وعلى الثاني تكون صفة فعل
ثم قال الامام ومعنى محبة المخلوقين له ارادتهم ان ينعمهم ويحسن اليهم قلت وقد تكون
محبة المخلوقين له سبحانه لما ابتداهم به من نعمه وغمرهم من احسانه واليه الاشارة بقوله
عليه الصلاة والسلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ولصرف الالام ودفع المضار عنهم
وغير ذلك مما لا يكاد يحصر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فلا تحصر محبتهم فيما

قال الامام من ارادة التنعيم والاحسان في الاستقبال والمراد الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام
جبلت القلوب على حب من احسن اليها الحديث ولا احسان في الحقيقة الا لله تعالى لانه تعالى
خالق المحسنين واحسانهم فهو الحقيق بالمحبة دون من سواه ومن محبته محبة من احبه
من نبي وملك وولي وغير ذلك ومن محبته ايضا امتثال امره واجتناب نواهيه
واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تصح حقيقة المحبة الا بذلك ولقد احسن من قال
تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا محال في القياس بديع • لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع • ولذلك قال سهل ابن عبد الله التستري المحبة معانقة الطاعة
ومباينة المخالفة وقال ابو علي الروذباري المحبة الموافقة وقال يحيى بن معاذ
ليس الصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده وقال الشيخ ابو القاسم ابن هوازن
القشيري رضي الله عنه في رسالته محبة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه
كما ان رحمته ارادة الانعام فالرحمة اخص من الارادة والمحبة اخص من الرحمة فارادته
تعالى ان يوصل الى العبد الثواب والانعام تسمى رحمة وارادته بان يخصه بالقربة
والاحوال العلية تسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة فبحسب تفاوت
متعلقاتها تختلف اسماوها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت
بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة ثم قال بعد كلام واما
محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة وقد تحمله تلك الحالة
على التعظيم له وايثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج اليه وعدم القرار من دونه
ووجود الاستيناس بدوام ذكره له بقلبه وليست محبة العبد له سبحانه متضمنة
ميلا ولا احتظاظا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والاحاطة
والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب اولى منه بان يوصف بالاحتظاظ ولا توصف
المحبة بوصف ولا تحد بحد اوضح ولا اقرب للفهم من المحبة وقال صاحب المفهم

واما محبة العبد

واما محبة العبد لله تعالى فقد تاولها بعض المتكلمين لانهم فسروا المحبة بالارادة
والارادة انما تتعلق بالحادثة لا بالقديم ومنهم من قال لان محبتنا انما تتعلق بمستلذ
محسوس والله تعالى منزه عن ذلك وهولا تاولوا محبة العبد لله تعالى بطاعته وتعظيمه
اياه وموافقته له على ما يريد منه واما ارباب القلوب فمنهم من لم يتاول محبة العبد لله
حتى قال المحبة لله تعالى هي الميل الدائم بالقلب الهائم ثم ذكر عن ابي القاسم القشيري
ما تقدم ثم قال فهولا قد صرحوا بان محبة العبد لله تعالى هي ميل من العبد وتوقان
وحال يجدها العبد من نفسه من نوع ما يجده في محبوباته المعتادة له وهو صحيح
والذي يوضحه ان الله تعالى قد جبلنا على الميل الى الحسن والجمال والكمال فبقدر ما ينكشف
للعاقل من حسن الشي وجماله مال اليه وتعلق قلبه به حتى يفضي الامر الى ان يستولي
ذلك المعنى عليه فلا يقدر على الصبر عنه وربما لا يشتغل بشي دونه ثم الحسن والكمال
نوعان محسوس ومعنوي فالمحسوس كالصور الجميلة المستحسنة لنيل اللذة الجسمانية
وهذا في حق الله تعالى محال قطعا واما المعنوية فكمن اتصف بالعلوم الشريفة
والافعال الكريمة والاخلاق الحميدة فهذا النوع يميل اليه النفس الفاضلة
والقلوب الكاملة ميلا عظيما فترتاح لذكره وتنعم بخبره وخبره وتهتز لسماع
اقواله وتتشوف لمشاهدة احواله وتلتذ بذلك لذة روحانية لا جسمانية كما نجده
عند ذكر الانبيا والعلما والفضلا والكرما من الميل واللذة والرقة والانس وان
كنا لا نعرف صورهم المحسوسة وربما قد نسمع ان بعضهم قبيح الصورة او اعمى
او اجذم ومع ذلك فذلك الميل والانس والتشوق موجود لنا ومن شك في وجدان
ذلك او انكره كان عن جملة الانسانية خارجا وفي غمار المعتوهين والجاهلين والجا
واذا تقرر ذلك فاذا كان هذا الموصوف بذلك الكمال قد احسن الينا وفاضت نعمه
علينا ووصلنا بره ولطفه وعطفه تضاعف ذلك الميل وتجدد ذلك الانس

حتى لا نصبر عنه بل يستغرقنا ذلك الحال الى ان نذهل عن جميع الاشغال بل ونظرا على المستلذ يزيد لك نوع اختلال واذا كان ذلك في حق من كماله وجماله مفيد مشوب بالنقص معرض للزوال فكان من كان كماله وجماله واجبا مطلقا لا يشوبه نقص ولا يعتريه زوال وكان انعامه واحسانه اكثر بحيث لا ينحصر ولا يعد اولى بذلك الميل واحق بذلك الحب وليس ذلك الا لله تعالى وحده ثم من خصه الله تعالى بما شاء من ذلك الكمال واكمل نوع الانسان محمد عليه افضل الصلاة والسلام فمن تحقق ما ذكرناه واتصف بما وصفناه كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان كذلك فاهتمامه بلقائهما بالاتصاف بما يرضيهما واجتناب ما يسخطهما ويستلزم ذلك كله الاقبال بالكلية عليهما والاعراض عما سواهما الا باذنهما وامرهما ولتفصيل ذلك مواضع انتهى

قلت وهذا الكلام لا يرده منصف ولا ينكره الا متعسف فانه ابلغ في التحقيق وساعده على ذلك حسن التوفيق الرابع قوله عليه السلام وازهد فيما عند الناس يحبك الناس سبب ذلك والله اعلم ان القلوب مجبولة مطبوعة على حب الدنيا غالبا ومن نازع انسانا في محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه واصطفاه وقد صدق من قال في هذا المعنى وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها ولا يبعد عندي ان الزاهد في الدنيا يحبه الانس والجن المؤمنين اخذا بعموم لفظ الناس اذ كان يطلق لغة على الجن والانس وقد وقع لي ذلك مع بعضهم وكانوا يتوددون لي ابان الكلام في بعض الليالي زمن الانقطاع والتوجه لا في هذا الوقت فالله تعالى المسؤول في حسن العاقبة انه جواد كريم والحمد لله رب العالمين

الحديث الثاني والثلاثون

عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار حديث حسن رواه ابن ماجة والدارقطني وغيرهما مسندا

ورواه مالك

ورواه مالك في الموطا مرسلا عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فاسقط ابا سعيد وله طرق يقوي بعضها بعضا التعريف سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة ابن عوف بن الحرث بن الخزرج كذا نسبه ابن الكلبي وخليفة بن خياط فيما حكى عنه الرشاطي وكذا نسبه ابن اسحق وابن عبد البر في ترجمة ابيه لكن غير ان ابن اسحق قال في عبيد عبد بن الابجر غير مصغر ونسبه ابن سعد فاسقط عبيد الاول وكذا نسبه ابو عمر في باب ابي سعيد قال الرشاطي وصوابه ما ذكره ابن الكلبي والله اعلم وقد اختلف في اسمه فقيل سعد كما قدمناه اولا وقال ابن هشام اسمه سنان وكذا قال ابن الجذاعي يزيد ابن ابي حبيب والاول هو المشهور وامه انيسة بنت ابي حارثة عمرو من [illegible] بن مالك اسلمت وبايعت وهو مشهور بكنيته ابي سعيد الخدري والخدر قبيلة من الانصار توفي ابو سعيد هذا بالمدينة سنة اربع وسبعين وقيل ثلاث وسبعين وقيل سنة ثلاث وستين وقيل سنة اربع وتسعين والاول هو المشهور والقول الاخير وهم ظاهر والله اعلم وذكر الحافظ ابن زبر في سنة اربع وسبعين وكان ابو سعيد هذا من نجباء الانصار وفضلائهم ومن حفاظ الصحابة وعلمائهم حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم سننا كثيرة وروى عنه علما جما روى عنه من الصحابة زيد بن ثابت وانس بن مالك وعبد الله ابن الزبير ومن التابعين سعيد بن المسيب وابو سلمة وعبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة وعطاء بن يسار وغيرهم استصغر يوم احد فرد واستشهد ابوه يوم احد وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف حديث ومائة وسبعون حديثا اتفقا منها على ستة واربعين حديثا وانفرد البخاري بستة عشر حديثا ومسلم باثنين وخمسين حديثا وروى له الجماعة رضي الله عنه

الشرح قد تقدم في الخطبة عن ابي داود انه قال الفقه يدور على خمسة احاديث الاعمال بالنيات والحلال بين والحرام بين وما نهيتكم عنه فانتهوا وما امرتكم به

فاتوا منه ما استطعتم ولا ضرر ولا ضرار فعلى هذا يكون هذا الحديث خمس الشريعة
قال الجوهري الضر ضد النفع والضرار خلاف النفع وقد ضره وضاره بمعنى والاسم الضرر
قلت وظاهر هذا انه لا فرق بين الضرر والضرار لو انما جا في الحديث على وجه التاكيد
كما قاله غير الجوهري والاولى حمل الثاني على فايدة لا تكون في الاول ان امكن فان الاصل
التاسيس دون التاكيد لا سيما في كلام الشارع عليه الصلاة والسلام والذي ظهر لي
في ذلك ان الضرر من واحد كالقتل والضرار من اثنين كالقتال من حيث ان ضرارا
مصدر ضار وفاعل انما يكون من اثنين غالبا ثم وجدته منقولا والحمد لله ونقل
بعض الناس عن الخشني انه قال الضرر الذي لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة
والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرة وما علمت من رايته اخذ هذا
المعنى وخبر لا محذوف والتقدير لا ضرر ولا ضرار في ديننا او في شريعتنا او في سنتنا
وظاهر الحديث تحريم الضرر مطلقا القليل منه والكثير ضرورة ان النكرة في سياق
النفي تعم غالبا وقولي غالبا تحرز من موضعين احدهما مثل لا رجل في الدار بالرفع
بدليل انك تقول لا رجل في الدار بل رجلان ولا تقول ذلك مع الفتح والثاني
سلب الحكم عن العموم نحو ما كل عدد زوج فان هذا ليس حكما بالسلب على كل فرد
من افراد العدد والا لم يكن زوج وذلك باطل بل مقصودك ابطال قول من قال
كل عدد زوج فقلت له انت ليس كل عدد زوجا اي ليست الكلية صادقة بل
بعضها ليس كذلك فهذا سلب النقيض العموم لا حكم بالسلب على العموم قاله
القرافي رحمه الله تعالى واذا تقرر هذا علمت تحريم الضرر ما قل منه وما كثر
على ما تقتضيه صيغة العموم الا ان يرد مخصص وذلك مثل فتح كوة في جداره
يطلع منها على عوراتهم او احداث فرنه او حمام او رحى او معصرة فان ذلك يمنع
لوجود الضرر بالدخان وصوت الرحى وما اشبه ذلك وهذا بخلاف ما قل ضرره

جدا كنقض

جدا كنقض او عتبة التراب وما في معناه والحفر عند الابواب فهذا خفيف اذ ذاك يكون
في ساعة لطيفة وكذلك يمنع الزبل الذي يتولد منه الدود في الرحاب وللناموس
مسئلة اذا انهارت بير جاره وله فضل ما وجب عليه ارسال فضل مايه الى زرع
جاره بشروط ثلاثة احدها ان يكون قد زرع على اصل ما والثاني ان يتشاغل
باصلاح بيره والثالث ان يخشى على زرعه الهلاك مسئلة اذا احتاج جاره الى
غرز خشبه في جداره هل يجب عليه تمكينه من ذلك او له منعه في المسئلة قولان
مشهورهما له المنع ولكن يندب الى تمكينه من ذلك لقوله عليه السلام لا يمنعن جار جاره
ان يغرز خشبه في جداره ومنشا الخلاف هل هذا الالزام على النهي على الالزام او
الندب والحث على محاسن الاخلاق وحسن الجوار وللشافعي ايضا قولان والجديد
عدم الوجوب كما نقول وبه قال ابو حنيفة والكوفيون وبالايجاب قال احمد وابو ثور
واصحاب الحديث وهو ظاهر الحديث مسئلة للرجل ان يعلي بناءه على جدار جاره
وان اضر ذلك بجاره وظلم عليه ابواب غرفه ومنع الشمس ان تقع في حجرته قال
الابهري لانه بنى في ملكه فليس لجاره ان يمنعه من ذلك وان كان بنيانه يستره
من الشمس والريح وذكر ابن شعبان ان ذلك من الضرر الممنوع وهو ظاهر الحديث
وقال ابن كنانة اذا رفع بنيانه ليضر بجاره من شمس يمنعه منفعتها او لضرر
يدخله عليه ولا نفع له في بنيانه فانه يمنع من هذا والله اعلم الحديث
الثالث والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال اموال قوم ودماهم ولكن البينة على
المدعي واليمين على من انكر حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين
الكلام على الحديث من وجوه الاول جعله هذا الحديث حسنا فيه نظر والذي في
العمدة لعبد الغني رحمه الله تعالى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دما رجال واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه
وفى الصحيح ايضا قال ابن ابى مليكه كتب ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم قضى باليمين على المدعى عليه فكان ينبغى ان يذكر ما فى الصحيحين ويقول
زاد البيهقى وغيره من طريق حسن ولكن البينه على المدعى وقال صاحب الافصاح
وفى روايه ان امراتين كانتا تخرزان فى بيت او حجرة فخرجت احداهما وقد
انفذ بالاشفى فى كفها فادعت على الاخرى فرفع ذلك الى ابن عباس رضى الله عنهما
فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعطى الناس بدعواهم لذهبت دماء قوم
واموالهم ذكروها بالله فاقروا عليها ان الذين يشترون بعهد الله الاية
فذكروها فاعترفت فقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم لو اعطى الناس بدعواهم
لادعى ناس دما رجال واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه الثانى قيل ان فصل
الخطاب فى قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو قوله صلى الله عليه وسلم
البينه على من ادعى واليمين على المدعى عليه وقيل فصل الخطاب قولهم فى صدور
الرسايل اما بعد كما تقدم فى الخطبة الثالث المقصود المهم من هذا الحديث
معرفه المدعى والمدعى عليه لتوقف الحكم على ذلك وقد قال اصحابنا المدعى
من تجردت دعواه عن امر يصدقه او كان اضعف المتداعيين والمدعى عليه
من ترجح جانبه بمعهود او قرينه حال فاذا ادعى احدهما ما يخالف العرف
وادعى الاخر ما يوافقه فالاول المدعى وكذلك كل من ادعى وفا ما عليه او رد
ما عنده من غير امر يصدق دعواه فانه مدع الا المودع اذا ادعى رد الوديعة
فانه يصدق لترجيح جانبه بالاعتراف له بالامانه فان استشهد عليه فهل هو باق
على ايتمانه اولا فيه خلاف ثم الدعوى المسموعه هى الصحيحة وهو ان يكون المدعى
به محققا معلوما فلو قال لى عليه شى لم تسمع دعواه وكذا لو قال اظن ان لى عليك

كذا وكذا او لك على كذا وكذا والحديث دال على مطلق ايجاب اليمين على المدعى عليه وان غلب
على الظن صدق المدعى لا يدل لفظه على اكثر من ذلك وهذه كلها نصرفات من الفقها رحمهم الله
تعالى فيه من تخصيص عمومه وكذلك اشتراط الخلطة بين المتداعيين وما يقوم
مقامها فى اليمين عندنا واختلف فى حقيقتها فقال ابن القاسم هى ان يسالفه
او يبايعه او يشترى منه مرارا وان تقابضا فى ذلك الثمن وتفاصلا قبل التفرق
وقاله اصبغ وقال سحنون لا تكون خلطة الا بالبيع والشرا من الرجلين المتداعيين
وقال الشيخ ابو بكر معنى ذلك ان ينظر الى دعوى المدعى فان كان يشبه ان يدعى
بمثلها على المدعى عليه احلف له وان كانت مما لم يشبه وينفيها العرف لم يحلف
الا ان ياتى المدعى بلطخ وقال القاضى ابو الحسن ينظر الى المتداعيين فان كان المدعى
عليه يشبه ان يعامل المدعى حلف ومنهم من قال المسله على ظاهرها ولا يحلف الا
بثبوت الخلطه بينهما والمعامله وفى ذلك فروع وتفاصيل موضعها كتب الفقه
المطوله اما لو ادعت المراه على زوجها طلاقا والعبد على سيده عتقا لم يحلفا
وكذلك لو ادعى رجل على امراه نكاحا لم يجب عليها يمين فى ذلك قال سحنون الا ان يكونا
طاريين وفى ذلك كله خلاف لغيرنا ولم يشترط ابن نافع وابن لبابه من اصحابنا
الخلطه كما يقول المخالف وهو قول اكثر الفقها وقال بقول مالك الفقها السبعه
وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقسم بن محمد وعبيد الله ابن عبد الله ابن عتبه
بن مسعود وخارجه بن زيد وسليمان بن يسار وابو بكر ابن عبد الرحمن بن الحرث
بن هشام وقد جمعهم الشاعر فى قوله ٭ الا ان من لا يقتدى بايمة ٭
فقسمته ضيزى عن الحق خارجه ٭ فخذهم عبيد الله عروة قاسم ٭ سعيد ابو بكر سليمان خارجه
وبه قضى على ابن ابى طالب رضى الله عنه ووجه اشتراط الخلطة وان لم يكن ظاهر هذا
الحديث الصيانه للافاضل من السفها والاراذل وذلك ان رعاع الناس واراذلهم

يبتذلون الافاضل والعلما بتكثير الدعاوى وتحليفهم في اليوم الواحد مرارا ارادة
اهانتهم وابتذالهم وحرمتهم لعداوة بينهم او ليبذلوا لهم شيئا ليتخلصوا منهم ونحو ذلك
فاحترز واستثنى من اشتراط الخلطة مسايل كالدعاوى على الصناع والمنتصبين
للتجارة في الاسواق وفي رد الودايع على اهلها والمسافر يدعي على الرفقة والمدعي
لسلعة بعينها ومن اتهم بسرقة من ضيف وغيره والقايل عند موته لي عند فلان
كذا والرجل يحضر المزايدة فيقول البايع بعتك بكذا ويقول المبتاع بعتني بكذا
فلمه وينبغي ان يزاد على ذلك من وقف سلعته في السوق فيقول له الرجل بكم هي
فيقول بماية فيقول اخذتها بماية فيقول لا ابيعها فانه يحلف ما اراد البيع
مسئلة قال ابن فرح الاندلسي رحمه الله تعالى استدل بعض الناس بقوله عليه السلام
لادعى ناس دما رجال واموالهم على ابطال قول مالك في التدمية ووجه استدلاله
انه صلى الله عليه وسلم قد سوى بين الدما والاموال في ان المدعي لا يسمع قوله فيها
فاذا لم يسمع قول المدعي بحولي عند فلان دينار او درهم كان احرى واولى ان لا يسمع
قوله دمي عند فلان بل للقسامة على القتل والتدمية لوث يقوى جنبة المدعيين
حتى يبدوا بالايمان كما بدا بانواع اللوث قلت ولان التهمة في حق هذا بعيدة لانه
قادم على الله تعالى فيبعد في حقه كل البعد ان يتزود في سفره الى اخرته دم رجل
مسلم بغير حق عليه هذا ما لا يفعله من عنده ادنى مسكة من عقل وان كان فاسقا
او شرا من عبد الله الازرق في زمانه والله تعالى الموفق لا رب غيره ولا معبود
سواه قال واجمع العلما على استحلاف المدعي عليه في الاموال واختلفوا في غير
ذلك فذهب الشافعي واحمد وابو ثور الى وجوبها على كل مدعى عليه في حد او طلاق
او نكاح او عتق اخذا بظاهر عموم هذا الحديث فان نكل حلف المدعي وثبتت دعواه
وقال ابو حنيفة واصحابه يحلف على الطلاق والنكاح والعتق وان نكل لزمه ذلك

وقال الثوري

وقال الثوري والشعبي وابو حنيفة لا يستحلف في الحدود والسرقة وقال نحوه مالك
رحمه الله تعالى والله سبحانه اعلم الحديث الرابع والثلاثون عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان
رواه مسلم الكلام على الحديث من وجوه الاول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجب بالكتاب والسنة والاجماع اعني وجوب الكفاية لا وجوب الاعيان الا الانكار
بالقلب فانه من فروض الاعيان اما الكتاب فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال تعالى في قصة لقمان يا بني
اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم
الامور وقال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واما السنة فهذا الحديث وما اشبهه من الاحاديث المتوعد
فيها على ترك ذلك من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر او ليعمنكم الله بعذاب من عنده وقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده
لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه
على الحق اطرا او ليصرفن الله قلوب بعضكم على بعض فيلعنكم كما لعن بني اسرايل
كانوا اذا عمل العامل منهم بالخطية نهاهم الناهي تعذيرا فاذا كان من الغد جالسه
وواكله وشاربه وكانه لم يره على خطية بالامس فلما راى الله صرف قلوب بعضهم
على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى صلى الله عليهما وذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون وقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا
عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم وغير ذلك من الاحاديث في ذا المعنى

واما الاجماع فقد اجمعت الامة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على طريق
وجوب الكفاية كما تقدم فمن قام به من الناس سقط عن بقيتهم والا اثموا كلهم
ويكفي من ذلك ظن القيام به لا العلم ولا بد لكن للوجوب شروط ثلاثة الاول
ان يعرف من يتولى ذلك المعروف وهو ما امر الله تعالى به والمنكر وهو ما نهى الله عنه
فانه ان لم يعرف ذلك فربما نهى عن المعروف وامر بالمنكر والثاني ان يامن ان
يودي انكار المنكر الى منكر اكبر منه مثل ان ينهى عن شرب الخمر فيودي ذلك الى
قتل النفس وما اشبه ذلك والثالث ان يرجو القبول وان امره او نهيه في
ذلك يوثر فيه ويزيله او بعضه فالشرطان الاولان شرطان في الجواز اعني انه
اذا فقدا او احدهما حرم الامر والنهي والحالة هذه والثالث شرط في الوجوب
فاذا فقد ووجد الاولان جاز له الامر والنهي او ندب الى ذلك ولا يجب عليه
لانه ربما يطيعه لا سيما اذا ترفق به في ذلك فان الله تعالى يقول فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكذلك جا في الحديث من امر بمعروف فليكن امره
في ذلك بمعروف او كما قال عليه السلام وقد قال بعض المتاخرين من اصحابنا انه
اذا راى عورة احد في الحمام فينبغي ان يكون انكاره عليه بهذه الصيغة وهو
ان يقول له استتر سترك الله ونحو ذلك وقد روى ان رجلا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وقع في الشام فانهمك في الخمر فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فكتب اليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها
ونزع عنها لا سيما اذا كان ذلك مع احد ابويه فليكن تلطفه وترفقه معه
ابلغ قال القاضي ابو الوليد ابن رشد رحمه الله تعالى واذا راى الرجل احد ابويه
على منكر من المناكر فليعظهما برفق وليقل لهما قولا كريما كما امره الله تعالى

حيث يقول

حيث يقول اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما الى قوله وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا قلت وانظر تادب الخليل عليه السلام وتلطفه في مخاطبة ابيه آزر الكافر
المعاند رجا استيلافه واسلامه حيث قال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
فعاد يا ابت فخاطبه بلفظ الابوة اما احتراما واما استيلافا واستعطافا او للمجموع
ولم يقل يا رجل او يا هذا ونحو ذلك بل اتى بما يفهم انه لم يستعجل عليه بالعذاب
ويقطع به عليه فيقول سينزل بك العذاب او يحيق بك ونحو ذلك بل اتى بما يفهم التوقع
دون القطع وفيه ايضا الايذان بغاية الاشفاق والحنو وارادة نجاته من العذاب
اذ لو قال انه سيقع بك العذاب ان لم تومن ونحو ذلك لم يشعر بما تقدم بل ربما
اعطى ذلك العكس او المساواة عنده وهوان يستوي عنده وقوع العذاب به
وعدم وقوعه وقال ان يمسك ولم يقل يلحقك او يقع بك بل اتى بالمس الذي
هو اقل ما يكون من العذاب ومثله من غير هذا المعنى قوله تعالى ولئن مستهم نفحة
من عذاب ربك وهي الدفعة من الشي دون معظمه ونكر العذاب ايضا ولم يقل عذاب الرحمن
او العذاب ليكون المعنى عذابا لا كل العذاب واذا كان هذا مع الكافر فما ظنك بالمومن ولتعلم
ان الانكار انما هو فيما لم يختلف في تحريمه واما المختلف فيه فلا انكار فيه لا سيما اذا قلنا
ان كل مجتهد مصيب وهو المختار عند كثير من المحققين واكثرهم وعلى المذهب الاخر المصيب
واحد والمخطي غير متعين لنا والاثم موضوع عنه لكن لا باس ان يندب للخروج من الخلاف
برفق وتلطف على جهة النصيحة فان العلما متفقون على الحث على الخروج من الخلاف
قال ابن فرح الاندلسي رحمه الله تعالى وذكر اقضى القضاة الماوردي في كتابه الاحكام
السلطانية خلافا بين العلما فيمن قلده السلطان الحسبة هل له ان يحمل الناس على
مذهبه اذا كان من اهل الاجتهاد ام لا يغير ما كان على مذهب غيره والاصح انه
لا يغير ولم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم رضي الله عنهم ولا يغيره

محتسب ولا غيره على غيره وكذلك قالوا ليس للمفتي ولا للقاضي ان يعترض على من خالفه
اذا لم يخالف نصا ولا اجماعا ولا قياسا جليا انتهى فان قلت كيف يلتئم هذا الحض العظيم
على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وظاهر هذا ما نرى من عدم وجوبه حتى لو قال قائل
ان ظاهر الاية ترجيح ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يبعد ذلك لان معنى
عليكم انفسكم الزموا انفسكم كما تقول عليك زيدا اي الزمه مع قرينة لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم وهذا ظاهر مكشوف قلت الجواب من وجهين احدهما نص في معنى
الاية والثاني تاويل اما النص فما روي عن ابي امية قال سالت ابا ثعلبة
الخشني فقلت كيف تصنع بهذه الاية فقال اية اية قلت له قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال لي اما والله لقد سالت
عنها خبيرا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا
عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي
برايه ورايت امرا لا بد لك به فعليك بنفسك واياك وامر العوام فان من وراءكم
اياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل يومئذ منهم كاجر خمسين رجلا
يعملون مثل عمله واما التاويل فان معنى الاية عند المحققين انكم اذا فعلتم
ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
وان كان ذلك كذلك فمما كلف به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا فعله ولم
يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه ادى ما عليه فانما عليه الامر
والنهي لا القبول قال الله تعالى ما على الرسول الا البلاغ تنبيه ولتعلم ان العلماء
قالوا لا يلزم ممن تولى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكون كامل الحال ممتثلا
ما يامر به مجتنبا ما ينهى عنه بل يجب عليه شيئان يامر نفسه وينهاها ويامر غيره

وينهاه

وينهاه فاذا اخل باحدهما كيف يباح له الاخلال بالاخر فان قلت ظاهر قوله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم الاية يخالف هذا فكيف الجمع بين ذلك قلت فيه عندي نظر
فان ظاهر قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يابى ذلك لان حاكي التفسير
ان الاحبار كانوا يامرون اتباعهم ومقلديهم باتباع التورية وكانوا هم يخالفونها في جحدهم
صفة محمد عليه الصلاة والسلام وقيل غير ذلك مما هو قريب منه وقال محمد بن واسع بلغني
ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشيا
عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالفكم الى غيرها وفي الصحيح انه
عليه السلام راى في النار قوما يدورون كما تدور الرحى فقلت يا جبريل من هولاء فقال
كانوا يامرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه وفي الصحيح
ايضا يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيقال لم ذلك فيقول كنت امر بالمعروف
ولا افعله وانهى عن المنكر وافعله وظاهر هذا كله ان العاصي اذا لم يامر بالمعروف
ولم ينه عن المنكر كان اخف حالا من العاصي الامر الناهي فتامله لا تنه عن خلق وتاتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم ولتعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يختص بالولاة
بل من وجدت فيه الشروط المتقدمة ساغ له ذلك والبا كان او غيره قال قيل وقد كان
في الصدر الاول غير الولاة يامرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير
المسلمين اياهم على ذلك وترك توبيخهم على التشاغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
من غير ولاية قال القاضي عياض رحمه الله تعالى هذا الحديث اصل في صفة التغيير
فحق المغير ان يغيره بكل وجه امكنه زواله به قولا كان او فعلا فيكسر الات الباطل
ويريق المسكر بنفسه او يامر من يفعله وينزع الغصوب ويردها الى اصحابها
بنفسه او بامره ويرفق في التغيير جهده ويذري الجرة الظالم المخوف شره اذ ذلك
ادعى الى قبول قوله كما يستحب ان يكون متولي ذلك من اهل الصلاح والفضل

بلغ

لهذا المعنى ويغلظ على المعتدى فى غيه والمسرف فى بطالته اذا امن ان يؤثر اغلاظه منكرا اشد مما غيره لكون جانبه محميا عن سطوة الظالم فان غلب على ظنه ان تغييره بيده يسبب منكرا اشد منه من قتله او قتل غيره بسبب كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف فان خاف ان يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان فى وسعه وهذا هو المراد بالحديث ان شا الله تعالى وان وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يود ذلك الى اظهار سلاح وحرب وليرفع ذلك الى من له الامر ان كان المنكر من غيره او يقتصر على تغييره بقلبه هذا هو فقه المسئلة وصواب العمل فيها عند العلما والمحققين خلافا لمن راى الانكار بالتصريح بكل حال وان قتل ونيل منه كل اذى انتهى ولتعلم ان مذهبنا ومذهب غيرنا ان الانسان لا يجب عليه التفتيش والتجسس حتى يعلم اهناك منكر ام لا بل ليس له ذلك اصلا قال الماوردى من الشافعية الا ان يخبره مخبر يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله او بامراة ليزنى بها فيجوز له فى مثل هذه الحال ان يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدرك الثانى قوله عليه السلام فليغيره بقلبه معناه فليكرهه بقلبه لان ذلك الذى فى وسعه وقد تقدم ان ذلك من فروض الاعيان لان الراضى بالمنكر شريك لفاعله والله اعلم لكنه ينوى انه لو قدر على التغيير بيده او بلسانه فعل الثالث قوله عليه السلام وذلك اضعف الايمان اى اضعف خصال الايمان والمراد هنا بالايمان الاسلام ولذلك قال فى رواية اخرى وليس ورا ذلك من الايمان حبة خردل اى لم يبق ورا هذه المرتبة مرتبة اخرى قاله القرطبى وقال غيره معناه اقله ثمرة والله اعلم قال الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى واعلم ان هذا الباب اعنى باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قد ضيع اكثره من ازمان متطاولة ولم يبق منه فى هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث

عم العقاب

عم العقاب الصالح والطالح واذا لم ياخذوا على يد الظالم اوشك ان يعمهم الله بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم فينبغى لطالب الاخرة والساعى فى تحصيل رضى الله عز وجل ان يعتنى بهذا الباب فان نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله تعالى قال ولينصرن الله من ينصره وقال تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين واعلم ان الاجر على قدر النصب ولا يتاركه ايضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فان صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا ومن حقه ان ينصحه ويهديه الى مصالح اخرته وينقذه من مضارها وصديق الانسان ومحبه هو من يسعى فى عمارة اخرته وان ادى ذلك الى نقص دنياه وعدوه من يسعى فى ذهاب اخرته وتنقيصها وان حصل له بذلك صورة نفع فى دنياه وانما كان ابليس عدوا لنا بهذا وكانت الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه اوليا المومنين لسعيهم فى اصلاح آخرتهم وهدايتهم اليها فنسال الله العظيم توفيقا وارشادا لما يرضيه عنا وان يعمنا بجوده قلت وهذا كلام حسن بالغ فى النصيحة للمومنين ولكن اين من يقبل النصيحة فى هذا الزمان الشديد الصعب النكد الذى لم يبق من الدين فيه الا القليل النزر فانا لله وانا اليه راجعون بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا اللهم فاذا اردت بالناس فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين انشد شيخنا تقى الدين ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى لنفسه

قد عرف المنكر واستنكر المعروف فى ايامنا الصعبة * وصار اهل العلم فى وهدة

وصار اهل الجهل في رتبة ٭ يسار وانما للجور فيما مضى ٭ من الذي جار وابه نسبة ٭
فقلت للابرار واهل التقى ٭ والدين لما اشتدت الكربة ٭ لا تنكروا احوالكم قد اتت
نوبتكم في زمن الغربة ٭ واعجب ما في زماننا هذا ان الذين يظن بهم العلم والدين
ممن ينبغي عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلبسون بمناكر شتى يجب انكارها
عليهم شرعا ٭ بالملح يصلح ما يخشى تغيره ٭ فكيف بالملح اذ حلت به الغير ٭ ولقد
احسن من قال منذ ازمان قديمة ٭ هذا الزمان الذي كنا نحاذره
في قول كعب وفي قول ابن مسعود ٭ ان دام هذا ولم تحدث له غير ٭
لم يبك ميت ولم يفرح بمولود ٭ واشد ما يحزن العاقل عدم الاسترواح
الى تغيير هذه المناكر الفظيعة والبدع الشنيعة فان غدا شر من اليوم قال صلى الله
عليه وسلم لا ياتي على الناس زمان الا والذي بعده شر منه فلا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم نسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يحفظ علينا الايمان الى آخر
دقيقة حتى نلقاه وهو راض عنا امين رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل
الحديث الخامس والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا
يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله
ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر
اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم الكلام على الحديث
من وجوه الاول قال الجوهري الحسد ان تتمنى زوال نعمة المحسود اليك تقول
حسده يحسده حسودا قال الاخفش يحسده بالكسر حسدا بالتحريك وحسادة
وحسدتك على الشي وحسدتك الشي بمعنى وتحاسد القوم وهم حسدة مثل حامل
وحملة انتهى وهو حرام باجماع وهو من المهلكات للدين الخارج عن صفة اخلاق

المومنين

المومنين المحسنين وقوله عليه السلام لا تحاسدوا امر ايجاب لا ندب لما تقدم من تحريم الحسد
اجماعا والاصل لا تتحاسدوا فحذف احدى التاءين تخفيفا الثاني قوله عليه السلام ولا تناجشوا
النجش ان تزيد في المبيع ليقع غيرك وليس من حاجتك قاله الجوهري وكذا هو في اصطلاح
الفقهاء وذلك حرام ايضا واصله من الختل وهو الخداع ومنه قيل للصائد ناجش لانه يختل
الصيد ويحتال له واحتيال الصيد اثارته الثالث يعني لا تباغضوا لا تتعاطوا اسباب
التباغض لان الحب والبغض معان قلبية غير مكتسبة للانسان كما قال عليه السلام
اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك يعني الحب والبغض الرابع
التدابر التقاطع والمعاداة كان كل واحد يولي صاحبه دبره كراهية فيه ونفورا منه
الخامس قوله عليه السلام ولا يبع بعضكم على بيع بعض قيل مثاله ان يقول لمن اشترى سلعة في مدة
الخيار افسخ هذا البيع وانا ابيع منك مثله بارخص من ثمنه او اجود منه بثمنه
او يكون المتبايعان قد تقرر الثمن بينهما وتراضيا ولم يبق الا العقد فيزيد عليه او يعطيه
سلعة بانقص وهذا حرام بعد تقرر استقرار الثمن واما الزيادة في السلعة قبل
استقرار الثمن وقبل الرضى فليس بحرام السادس معنى كونوا عباد الله اخوانا اي
تعاطوا اسباب المودة بينكم حتى كانكم اولاد رجل واحد كما انكم عباد رب واحد
سبحانه لا اله الا هو فتعاشروا بالرفق والمودة والشفقة وصفا القلوب والمعاونة
على البر والتقوى وحسن الخلق والنصيحة وغير ذلك من صفات اخلاق المحسنين
المؤتلفين على طاعة الله تعالى والتادب بين يديه اللهم وفقنا لذلك يا كريم يا رحيم
السابع قوله عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره فيه معنى
الاستعطاف كما يقال انما هو اخوك وانما هو صاحبك القديم لمن تعلمه ويقربه
وليس المعنى مجرد الاخبار وقوله لا يظلمه لان من حق الاخوة الاسلامية
ان لا يظلمه بل ينصره ويعاونه كما تقدم آنفا وقد تقدم ان الظلم وضع الشيء

في غير موضعه وقوله ولا يخذله يقال خذله خذلانا اذا ترك عونه ونصرته ومعناه
اذا استعان به على نايبة من نوايب الزمان فليعنه ولا يجوز له تركه يخذوه
اذا امكنه ذلك على الوجه الشرعي واما يحقره فهو بفتح اليا وبالحا المهملة وكسر
القاف ومعناه لا يستصغره ولا يتكبر عليه قال القاضي عياض رواه بعضهم
بضم اليا وبالخا المعجمة وبالفا اي لا يغدر بعهده ولا ينقض امانه والصواب
هو المعروف الاول وهو الموجود في غير كتاب مسلم وروي ولا يحتقره وهو تفسير
الرواية الاولى ويرد الثانية الثامن قوله عليه السلام التقوى هاهنا قد تقدم
حد التقوى والكلام عليها والمعنى هنا مفسر في الحديث الاخر ان الله لا ينظر
الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم قيل والمعنى ان الاعمال
الظاهرة لا تحصل بها التقوى وانما تحصل بما يقع في القلوب من عظمة الله
عز وجل وخشيته ومراقبته ومعنى نظر الله تعالى مجازاته ومحاسبته
اي انما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة ونظر الله ورويته
محيطة بكل شي وهو من نحو قوله صلى الله عليه وسلم الا ان في الجسد مضغة اذا
صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب التاسع
قوله عليه السلام بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم فيه تحذير واي تحذير
من ذلك ان الله تعالى لم يحقره اذ خلقه ورزقه ثم احسن تقويم خلقه وسخر
ما في السموات وما في الارض جميعا لاجله وان كان له ولغيره فله من ذلك حصة
ثم ان الله تعالى سماه مسلما مومنا وعبدا وهو بعرضية ان يكون ابا لامة
من الامم وهو يعلم انه بلغ من امره ان الله عز وجل جعل الرسول منه اليه محمدا
صلى الله عليه وسلم فمن حقر مسلما من المسلمين فقد حقر ما عظم الله وكفاه ذلك
جرما وان من احتقار المسلم للمسلم ان لا يسلم عليه اذا مر به ولا يرد عليه اذا

بداه هونه

بداه هونه وان يراه دون ان يدخله الله الجنة او يبعده من النار فاما ما ينقمه العاقل
من الجاهل والعدل على الفاسق فليس ذلك احتقارا بعين المسلم ولا لذاته وانما
ذلك كراهية للجهل والفسق اللذين اتصف بهما فمتى فارق الجاهل جهله وباين
الفاسق فسقه تعين الرجوع الى الاحتفال به والرفع لقدره العاشر قوله عليه السلام
كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه يريد الا ان يعرض ما يبيح ذلك شرعا
فالدم يباح حال القصاص ويبيحه الردة مع المال وزنا المحصن وترك الصلاة
على تفصيل فيه وغير ذلك والعرض قيل هو النفس يقال اكرمت عنه عرضي اي
صنت عنه نفسي وفلان نقي العرض اي بري من ان يشتم او يعاب وقد قيل عرض
الرجل حسبه وهذا الاخير هو اللايق بالحديث والا كان تكرارا من حيث المعنى اعني
اذا فسرناه بالنفس فانه قد تقدم الدم وهو عبارة عن النفس والله اعلم

الحديث السادس والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مومن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب
يوم القيمة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة ومن ستر مسلما ستره الله
تعالى في الدنيا والاخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ومن سلك
طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت
من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة
وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملايكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطا به عمله
لم يسرع به نسبه رواه مسلم بهذا اللفظ الكلام على الحديث من وجوه الاول
معنى نفس عنه كربة فرجها يقال نفس الله كربتك ونفست عنه تنفيسا
رفهت والكربة الغم الذي ياخذ النفس هذا اصله في اللغة وكذلك الكرب بفتح
الكاف يقال منه كربه الغم اذا اشتد عليه فيه الترغيب في قضا حوايج المسلمين

وتنفيس الكربة يكون بماله او بجاهه او باشارته او اعانته بنفسه او سفارته
ووساطته او شفاعته او دعائه له بظهر الغيب الثاني التيسير يكون بالهبة
والصدقة والنظرة كما قال تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة او يكون
وساطة في ذلك ولا يبعد عندي ان يكون التيسير بالعلم مثاله ان يقع الانسان
في مسألة شرعية لا يحسن التخلص منها شرعا فيبين له حكمها ويهديه الى
الصواب فيها فينشرح صدره لذلك بتخلصه من عهدتها وهذه وظيفة اهل
الفتوى الثالث الستر المندوب اليه هنا قال صاحب الافصاح يجوز ان يكون
اذا راه على ذنب ستره او يكون ستره بما يحمله على ان لا يهتك ستر نفسه
مثل ان يكون محتاجا الى النكاح فيتوصل له في تزويجه والى الكسب فيقيم
له وجه بضاعة يتجر بها انتهى وقال ابن فرح الاندلسي المراد بالستر هنا
الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا بالاذى والفساد واما
المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه بل يرفع قضيته الى ولي الامر
ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا يطمعه في الايذاء والفساد
وانتهاك الحرمات او جسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية
وقعت وانقضت اما معصية راه عليها وهو بعد متلبس بها فيجب المبادرة
بانكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تاخيرها فان عجز لزمه
رفعها الى ولي الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة قال واما جرح الرواة
والشهود والامناء على الصدقات والاوقاف والايتام ونحوهم فيجب جرحهم
عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم اذا راى منهم ما يقدح في اهليتهم وليس
هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه انتهى ولا يأبى
عندي عموم هذا الحديث ان يكون الستر محسوسا وهو ان يرى عورته بادية

لعدم

لعدم ما يسترها به فيعطيه ما يسترها به وقد جاء في بعض الاحاديث الترغيب
في ستر عورة او اشباع جوعة ولانه اذا ستر عورته وقاه البرد والحر وكان
السبب في صحة صلاته اذ كان ستر العورة من شرط صحتها وجمله بين الناس
بحسب حاله بل لا يبعد عندي ان يكون راه بادي العورة غفلة عن ذلك فستره
بثوب نفسه او امره ان يستتر ولا شك انه يثاب على ذلك والله اعلم الرابع قوله
عليه السلام والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه قال صاحب الافصاح
هذا الاجمال لا يسع تفسيره الطروس الان منه ان العبد اذا عزم على معاونة
اخيه فينبغي ان لا يجبن عن انفاذ قوله او صدع بحق ايمانا بان الله تعالى في عونه
ومنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل ان الله تعالى في عون العبد بحالة خاصة
بل ما دام العبد في عون اخيه فان الله تعالى في عون ذلك العبد المعين على الاطلاق
قلت وروينا في بعض الاحاديث من سعى في حاجة اخيه المسلم قضيت له او لم
تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكتب له براءتان براءة من النار
وبراءة من النفاق الخامس قوله عليه السلام وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم القوم الرجال دون النساء لا واحد له
من لفظه قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء وقال زهير
وما ادري وسوف اخال ادري   اقوم آل حصن ام نساء   وربما دخل النساء
فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبي رجال ونساء وجمع القوم اقوام وجمع الجمع
اقاويم ويقال اقاوم واقايم والقوم يذكر ويؤنث مثل رهط ونفر قال الله تعالى
وكذب به قومك فذكر وقال كذبت قوم نوح فانث فان صغرت قلت قويم
ورهيط من غير تاء واما ما كان لغير الادميين فيلحقه التانيث نحو ابل
وغنم تقول ابيلة وغنيمة وما اشبه ذلك ويستلوح من تنكير قوم وشياعه

عدم الاختصاص بصفة من الصفات يتصفون بها من علم او زهد او غير ذلك بل
كل قوم اجتمعوا على هذه الهيئة الاجتماعية كان لهم ما ذكر من الاجر والله اعلم
وقد روي عن ملك رحمه الله تعالى انه كره الاجتماع على القراءة والذكر الا
ان يكون كل واحد يقرا لنفسه على انفراده او يذكر وعليه حمل هذا الحديث
وما اشبهه من الاحاديث الدالة على الاجتماع على الذكر والتلاوة قيل ويلحق
بالمسجد في هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة او رباط ونحوهما ان شا الله
تعالى ويدل عليه الحديث الاخر فانه مطلق يتناول جميع المواضع ويكون
التقييد في الحديث الاول خرج مخرج الغالب لا سيما في ذلك الزمان فلا يكون له
مفهوم يعمل به السادس قوله عليه السلام الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم
الرحمة وحفتهم الملايكة السكينة فعيلة من السكون وهو الوقار والطمانينة
لا ضد الحركة قاله العزيزي في قوله تعالى سكينة من ربكم وقيل هي الرحمة
واختاره القاضي عياض وفيه نظر لعطف الرحمة عليه في قوله وغشيتهم الرحمة
واما السكينة من قوله تعالى فيه سكينة من ربكم فقال ابن عطية قال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه السكينة ريح هفافة لها وجه الانسان وروي انه قال
ريح مجوج ولها راسان وقال مجاهد السكينة لها راس كراس الهرة وجناحان ٢
وذنب وقال وهب بن منبه عن بعض علما بني اسرايل السكينة راس هرة ميتة
كانت اذا صرخت في التابوت بصراخ الهر ايقنوا بالنصر وقال ابن عباس
والسدي السكينة طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبيا
وقيل السكينة روح من الله يتكلم اذا اختلفوا في شي اخبرهم ببيان ما يريدوه
وقيل غير ذلك والله اعلم ومعنى غشيتهم الرحمة شملتهم من كل جهة والرحمة
قيل هي ارادة نفع العبد وقيل خلق نفع العبد فعلى الاول هي صفة ذات

وبه قال

وبه قال ابن فورك وعلى الثاني هي صفة فعل وقد تقدم ذلك واما الرحمة بالنسبة الى
العبد فهي الرقة والتعطف والمرحمة كذلك ومعنى حفتهم الملايكة اطافوا حولهم
واستداروا قال تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش وحفه بالشي يحفه
كما يحف الهودج قاله الجوهري وغيره وقوله وذكرهم الله فيمن عنده قيل يقتضي
ان يكون ذكرهم الله سبحانه في الانبيا وكرام الملايكة ويجوز ان يكون معناه وذكرهم الله
اي اثابهم فيمن عنده كما يقول الانسان لاخيه اذكرني في كتابك قلت والمتبادر
الى الذهن الاول الثامن قوله عليه السلام ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه بطا من البطء
وهو نقيض السرعة وكان المعنى من قصر به عمله فكان ناقصا اما عن الصحة
واما عن الكمال لم يلحقه نسبه برتبة اصحاب الاعمال فلا ينبغي ان يتكل على شرف
النسب وفضيلة الابا ويقصر في العمل ولذلك لا ينبغي التفاخر بالابا فانه
من اخلاق الجاهلية وانظر قوله تعالى فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتساءلون
وقال عليه الصلاة والسلام ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالابا ٢
الناس رجلان بر تقي كريم على الله عز وجل وفاجر شقي هين على الله عز وجل كلهم
بنو ادم وخلق الله ادم من تراب وقال عليه السلام لرجل تعلم انساب الناس علم لا ينفع
وجهالة لا تضر وقال عمر رضي الله عنه تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم
قال القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى لان المفاخرة بالانساب تودي الى ايقاع
العداوة والبغضا والى التنافر والتناقد والى ان يظهر كل فريق مثالب الفريق
الاخر وذلك ممنوع لانه يودي الى الهرج والفساد ولان الله تعالى قال ان اكرمكم
عند الله اتقاكم فاخبر تعالى ان الفضل عنده بالتقى دون النسب ولان الاصل
يرجعون الى ادم والفرع معتبر باصله فاذا كان الاصل واحدا فكذلك فروعه
الا من خصه الله بفضيلة تقوى واصطفاه بكرامة من عنده وانشد الحريري

وما اللحم بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه الحديث السابع

والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي
عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن
هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده
عشر حسنات الى سبع مائة ضعف الى اضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها
كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها سيئة واحدة رواه البخاري
ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف فانظر يا اخي وفقني الله واياك الى عظم لطف الله
تعالى وتامل هذه الالفاظ وقوله عنده اشارة الى الاعتنا وقوله كاملة للتوكيد
وشدة الاعتنا بها وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة كاملة
فاكدها بكاملة وان عملها كتبها سيئة واحدة فاكد تقليلها بواحدة ولم يوكدها
بكاملة فلله الحمد والمنة سبحانه لا نحصي ثنا عليه وبالله التوفيق الكلام على الحديث
من وجوه الاول يقال هممت بالشي اهم هما اذا اردته بالضم واهم هما بالكسر
والهمة واحدة الهم يقال فلان بعيد الهمة والهمة بالكسر والفتح والهمام الملك
العظيم الهمة والهموم البير الكثيرة الما فكان معنى هم بالشي اراده وصمم عليه
وعزم على فعله وهذا بخلاف الخواطر التي تقع على القلب مثل المطر فهذه
لا يترتب عليها حكم لا ثواب ولا عقاب حتى لو كانت كفرا والعياذ بالله تعالى اذ
ليست من جنس مقدور العبد فلتعلم ذلك فانه قد يلتبس على بعض الناس
وهذا مما الاختلاف فيه بين الامة فيما علمت الثاني قال ابن بطال قال الطبري
في هذا الحديث تصحيح مقالة من قال ان الحفظة تكتب ما يهم العبد به من
حسنة او سيئة وتعلم اعتقاده لذلك ورد مقالة من زعم الحفظة انما تكتب
ما ظهر من اعمال العباد وسمع واحتجوا بما روى ابن وهب عن معوية بن صالح

عن كثير

عن كثير بن الحارث عن القسم مولى معاوية عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت
لان اذكر الله في قلبي مرة احب الي من ان اذكره بلساني سبعين مرة وذلك ان ملكا
لا يكتبها وبشرا لا يسمعها والصواب في ذلك ما صح من الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة والهم بالحسنة انما هو فعل العبد بقلبه
دون سائر الجوارح كذكر الله تعالى والمعنى الذي به يصل الملكان الموكلان
بالعبد الى علم ما يهم به بقلبه هو المعنى الذي يصل به الى ذكر ربه بقلبه ويجوز
ان يكون قد جعل الله تعالى لهما الى علم ذلك سبيلا كما جعل لكثير من انبيائه
السبيل الى كثير من علم الغيب وقد اخبر الله تعالى عن عيسى عليه السلام انه قال
لبني اسرائيل وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقد اخبر نبينا صلى الله
عليه وسلم بكثير من علم الغيب فغير مستنكر ان يكون الملكان الموكلان بابن ادم
قد جعل لهما سبيل الى علم ما في قلوب بني ادم من خير او شر يكتبانه اذا حدث
به نفسه وعزم عليه وقد قيل ان ذلك بريح تظهر لهما من القلب قلت واذا
كان الله تعالى قد جعل لبعض الاوليا الاطلاع على بواطن بعض العباد مع تكاثف
طبع البشر فاولى واحرى ان يكون ذلك في الملايكة الروحانية النورانية المخلوقين
من نور العزة وقد راينا ذلك كثيرا من بعض شيوخنا وغيرهم قطعا اعاد الله
علينا من بركاتهم ولا حرمنا الايمان بكراماتهم حتى لا يجتمع علينا عدم الوصول
الى رتبتهم وعدم التصديق باحوالهم ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم قال
وللسلف اختلاف في اي الذكرين افضل ذكر القلب او ذكر العلانية الثالث
قال صاحب الافصاح قوله عليه السلام كتب الحسنات والسيئات اي قدر مبالغ تضعيفها
فعرفه الكتبة من الملايكة ذلك التقدير فلا يحتاجون الى ان يستفسروا في
كل وقت كيف يكتبون ذلك بل قد شرع سبحانه وتعالى بما تعلم الملايكة بحسبه

وان الله تعالى لما رحم هذه الامة اخلف عليها قصر اعمارها بتضعيف اعمالها فمن هم
منهم بحسنة احتسبت له بتلك الهمة حسنة كاملة لاجل انها همة مفرده ليلا يظن
ظان ان ذلك ينقص الحسنة او يهضمها لكونها بمجرد همة لم تنظر الى الفعل فبين ذلك
بان قال حسنة كاملة وان هم بها وعملها فقد اخرجها من الهمة الى ديوان العمل وكتب
له بالهمة حسنة ثم ضوعفت تلك الحسنة فصارت عشرا ثم قوله الى سبعماية ضعف
فانما يعني على قدر ما يكون فيها من خلوص النية وايقاعها في مواضعها الذي تزيد
صاحبها حسنا قال والمعنى في ذكر سبعماية ان العرب تنتهي في التكثير من عدد
الاحاد الى سبعة ولذلك اذا اتوا بالثامنة عطفوها عليها بالواو ويعنون انه
قد انتهى عدد القلة وخرجنا الى عدد الكثرة قال الله تعالى التائبون العابدون
الحامدون السايحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف فلما تمت
اوصاف سبعة عطف بالواو فقال والناهون عن المنكر وقال عز وجل سيقولون
ثلاثة رابعهم كلبهم فلما ذكر السبعة قال وثامنهم كلبهم وقال في ابواب الجنة لكونها
ثمانية وفتحت ابوابها فاذا ضربت السبعة في عشرة كانت سبعين واذا ضربت
السبعين في عشرة كانت سبع ماية ثم قال بعد ذلك اضعافا كثيرة وكثيرة نكرة
وهي اشمل من المعرفة فيقتضي هذا ان يحسب توجيه الكثرة على اكثر ما يمكن
ثم يقدر ليتناول هذا الوعد الكريم وطوله في تفصيل ذلك فتركته خشية الملل
وقوله عليه السلام ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له حسنة لان الله تعالى يحتسب
للعبد عن السيئة وفكه تلك العزيمة التي كان عزمها بحسنة فان هو عملها كتبها
واحدة ومحاها تذنيب قال الامام مذهب القاضي ابي بكر ابن الطيب
ان من عزم على المعصية بقلبه ووطن عليها ما ثوم في اعتقاده وعزمه وقد
يحمل ما وقع في هذه الاحاديث وامثالها على ان ذلك فيمن لم يوطن نفسه

على المعصية

على المعصية وانما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى مثل هذا الهم ويفرق بين الهم
والعزم فيكون معنى قوله في الحديث ان من هم لم يكتب عليه على هذا القسم الذي هو
خاطر غير مستقر وخالفه كثير من الفقها والمحدثين اخذا بظاهر الاحاديث
ويحتج القاضي بقوله عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما الحديث وقال فيه انه
كان حريصا على قتل صاحبه فقد جعله ما ثوما بالحرص على القتل وهذا قد
يتاولونه على خلاف هذا التاويل فيقولون قد قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما
الحديث فالاثم انما يتعلق بالفعل والمقاتلة وهو الذي وقع عليه اسم الحرص
ها هنا ويتعلق بالكلام في الهم ما في قصة يوسف عليه السلام وهو قوله تعالى
ولقد همت به وهم بها اما على طريقة الفقها فذلك مغفور له غير مواخذ به
اذا كان الشرع كثير عنا في ذلك واما على طريقة القاضي فيحمل ذلك على الهم الذي
ليس بتوطين النفس ولو حمل على غيره لامكن ان يقال هي صغيرة والصغاير
تجوز على الانبيا على احد القولين وقد قيل في تاويل الاية غير ذلك وقال القاضي
عياض عامة السلف واهل العلم من الفقها والمحدثين والمتكلمين على ما ذهب
اليه القاضي ابو بكر وقد قال ابن المبارك سيل سفيان عن الهمة ايواخذ بها
فقال ان كانت عزما واخذ بها والاحاديث الدالة على المواخذة باعمال القلوب
كثيرة لكنهم قالوا ان هذا الهم يكتب سيئة وليست السيئة التي هم بها وتواها
لانه لم يعملها بعد وقطعه عنها قاطع غير خوف الله والانابة لكن نفس الاصرار
والعزم معصية فيكتب سيئة فاذا عملها كتبت معصية ثانية فانه تركها خشية
لله كتبت حسنة على ما جا في الحديث الاخر ومعناه تركها خشية لله ويفسره
قوله في الحديث الاخر انما تركها من جراي فصار تركه لها خوف الله ومجاهدته
نفسه الامارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه معصية حسنة واما الهم

وجد بخط المؤلف [illegible]

الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا يوطن عليها النفس ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم وقد
ذكر بعض المتكلمين أنه يختلف إذا تركها لغير خوف الله تعالى بل لخوف الناس هل تكتب
حسنة قال لا لأنه إنما حمله على تركها الحيا وهذا ضعيف لا وجه له وأما قصة يوسف
فالكلام في تأويلها كثير وأحسنه قول أبي حاتم ومن وافقه أنه ما هم لأنه رأى برهان
ربه وإنما همت هي والكلام عنده فيه تقديم وتأخير والمعنى ولقد همت به ولولا
أن رأى برهان ربه لهم بها والله أعلم الحديث الثامن والثلاثون عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال من عادى لي وليا
فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال
عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني
أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه رواه البخاري الكلام على الحديث من وجوه
الأول المعاداة ضد الموالاة تعادى ما بين القوم أي فسد وتعادى تباعد
أيضا والعدو ضد الولي والأنثى عدوة وهي من النوادر لأن فعولا إذا كان بمعنى
فاعل لا يلحقه الها نحو صبور وشكور بل يستوي فيه الذكر والأنثى قال الفرا
إنما دخلوا فيها الها تشبيها بصديقة لأن الشيء قد يبنى على ضده والعدى بكسر
العين الأعداء وهو جمع لا نظير له قال الجوهري قال ابن السكيت ولم يأت فعل
في النعوت إلا حرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى أي غربا وقوم عدى أي أعدا
قلت انظر هذا الحصر من ابن السكيت وقد جاء غير ذلك قال الله تعالى فاجعل بيننا
وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى أي وسطا بين الموضعين كما قاله
المفسرون وقالوا إملاء ثنى أي ثنية مرتين ولحم زيم أي متفرق وما روى
ووادي طوى على من كسر الطا ويقال قوم عدى وعدى بالضم والكسر فإذا دخلت

الها قلت

الها قلت عداة بالضم لا غير الثاني الولي مأخوذ من الولي وهو القرب والدنو تقال
تباعدنا بعد ولي ومنه كل مما يليك والولي المطر بعد الوسمي سمي وليا لأنه يلي
الوسمي والولي أيضا الصهر وكل من ولي أمر واحد فهو وليه ومعنى الولي في الحديث
القريب من الله تعالى لتقربه إليه باتباع أوامره واجتناب نواهيه وفعل ما أمكن
من النوافل والمندوبات وهذا هو الذي يجيء وعليه أنه منبه لله تعالى الداخل
في قوله تعالى إن الله يحب المتقين إن أولياؤه إلا المتقون والعاقبة للمتقين
قال صاحب الإفصاح رحمه الله تعالى في هذا الحديث من الفقه أن الله سبحانه وتعالى
قدم الإعذار إلى كل من عادى وليا له فإنه بنفس المعاداة للولي إنذار من الله
تعالى بأنه يحاربه فإن أخذه على غرة فإن ذلك بعد الإعذار بتقدم الإنذار
وولي الله تعالى هو الذي يتبع ما شرع الله تعالى قال ومعنى قوله عادى لي وليا
اتخذه عدوا ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته لله فهذا وإن تضمن مع
توجه القول من عادى وليا لله من أجل ولايته فإنه يشير إلى الحذر من إيذاء قلوب
أولياء الله عز وجل لا على الإطلاق إلا أنه إذا كانت الأحوال تقتضي نزاعا بين وليين
لله تعالى في محاكمة أو خصومة راجعة إلى استخراج حق أو كشف غامض فإن
هذا لا يتناوله هذا القول لأنه قد جرى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خصومة وبين
العباس وعلي وبين كثير من الصحابة رضي الله عنهم ما جرى وكلهم كانوا أولياء لله
عز وجل إلا أن هذا يتناول من عادى وليا لله من أجل كونه وليا لله مع أنه يشير
إلى التحذير من إيذاء ولي الله انتهى كلامه ولم أفهم معنى كونه يعادي الولي لكونه
وليا إلا أن يكون على طريق الحسد الذي هو تمني زوال ولايته وهذا بعيد جدا
في حق المؤمنين فتأمله ومعنى الإيذان الإعلام والحرب المحاربة والقتال وهذا
من التهديد في الغاية القصوى لأن من حاربه الله تعالى أهلكه إهلاكا وهو

من المجاز البليغ اذ لا يتصور محاربة الله تعالى وكان المعنى فيه المعاندة والمخالفة والكراهة لمن احبه الله تعالى ضرورة كون الولي محبوبا لله تعالى ومن كره ما احبه الله فقد خالف الله تعالى وعانده الا ترى ان الله تعالى لما امر الملايكة بالسجود لادم عليه السلام وكره ذلك ابليس اللعين عداوة لادم كان منه ما كان فنعوذ بالله من البلا ودرك الشقا وشماتة الاعدا واذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت العكس في جانب الموالاة لانه اذا ثبتت المحاربة لمن عادى وليا لله تعالى اذن ذلك بالموالاة لمن والاه اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم تحت ظلي يوم لا ظل الا ظلي وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في والمتزاورين في وقال عليه السلام لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا الحديث الثالث قوله وما تقرب الي عبدي بشي احب الي مما افترضت عليه يدخل تحت هذا اللفظ جميع المفترضات من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وامر بمعروف ونهي عن منكر وتعلم علم العين وهو ما وجب على المكلف في خاصة نفسه واداء الحقوق الى اربابها ونفقات الزوجات والاقارب ورد المغصوب والودايع وبر الوالدين وغير ذلك من المفترضات على الاعيان او على الكفاية والله اعلم الرابع قوله ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه النوافل جمع نافلة وهي في اللغة عطية التطوع من حيث لا يجب والنفل مثله قال الجوهري ومنه نافلة الصلاة قال والنافلة ايضا ولد الولد واما النفل بالتحريك فالغنيمة والتنفل التطوع ومعنى الحديث انه اذا ادى الفرايض وداوم على الاتيان بالنوافل من صلاة في الليل او في النهار لا سيما التوابع للفرضات او صدقة او حج تطوع او جهاد غير متعين او اصلاح بين اثنين او جبر خاطر يتيم او اعانة مسلم او تيسير على معسر او فعل خير من حيث الجملة افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد تقدم في الحديث الحادي والثلاثين

معنى المحبة

معنى المحبة وحقيقتها بالنسبة الى محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله تعالى فراجعه هناك ان اردته الخامس قوله فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الى اخر الحديث الذي يظهر لعبد الله سبحانه اعلم ان يكون ذلك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره فلا يبصر الا ما يحل ابصاره وحافظ يده التي يبطش بها فلا يبطش بها فيما لا يحل له ولا يمشي برجله الا فيما يحل له المشي اليه اما ايجابا او ندبا او اباحة ويحتمل وجها اخر ادق من هذا وهو ان يكون معنى كنت سمعه اي مسموعه لان المصدر قد جا بمعنى المفعول قالوا انت رجاي بمعنى مرجوي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي وقد جا ان موسى عليه السلام كان اذا انصرف من مناجاته يسمع كلام الخلق كاصوات الحمير وكذا كنت بصره اي مبصره فلا ينظر الا في عجايب ملكوتي ومخلوقاتي الدالة على وجودي وصفاتي وما كان من جهة عبادتي فبي يسمع وبي يبصر

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ٭ سواها وما طهرتها بالمدامع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى ٭ حديث سواها في خروق المسامع

ومعنى يده التي يبطش بها اي لا يمدها الا لما فيه رضاي ومحبتي ولا يمشي برجله الا لذلك

بالله قل ما جيتكم زايرا ٭ الا وجدت الارض تطوى لي
ولا انثنى عزمي عن بابكم ٭ الا تعثرت باذيالي

فنسال الله العظيم ان يجعلنا من اهل هذه الطبقة ولا يقصر بنا عنها انه ولي ذلك والقادر عليه وما ذلك على الله بعزيز

تنبيه قوله ان سالني لاعطينه الى اخره فيه فوايد ثلاث الاولى ان من اتى بما وجب عليه وتقرب بما امكنه من النوافل فان دعاه لا يرد غالبا بهذا الوعد المحقق الموكد بالقسم الثانية ان الدعا والسوال مطلوب على اي حالة كان عليها العبد

ولو بلغ الى درجة ان يكون فيهما محبوبا عند الله تعالى الثالثة الرد على من قال من الصوفية ان الاولى ترك الدعا والسكون والخمود تحت جريان الحكم اتم والرضى بما سبق من اختيار الحق سبحانه وتعالى اولى وهذا عندي خلاف الكتاب والسنة والمعنى اما الكتاب فقد قال ربنا سبحانه وتعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى غير ذلك من الايات واثنى على الداعين فقال تعالى انهم كانوا يدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وهل الاستغفار الا طلب المغفرة وازرى على قوم تركوا الدعا عند الحاجة اليه قال تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون واما السنة فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يحصى من الدعا وامر بالدعا وحض عليه فقال صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة وقال ما من داع يدعو بدعا الا استجيب له الخبر وقالت عايشة يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر بم ادعو فقال صلى الله العافية والمعافاة ونحو وانه قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني وساله عمه العباس ابن عبد المطلب فقال سل الله العفو والعافية في الدنيا والاخرة وغير ذلك مما لا يحصى قال الطرطوشي وجميع الانبيا قد سالوه العافية والكشف والرزق والولد قال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وقال زكريا رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين وانما سال الله تعالى الولد وقال ايوب مسني الضر وانت ارحم الراحمين وقال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا واما المعنى فلما في الدعا من اظهار الذل والافتقار والخضوع والتمسكن والتحبب الى الله عز وجل بالسوال وفي الحديث ان الله يحب الملحين في الدعا وانشد ا الله يغضب ان تركت سواله

وبني ادم

وبني ادم حين تسال يغضب قال الطرطوشي رحمه الله فاما قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار او تصبرون فهو انهم ابتلوا وسالوا كشف الضر ولعله فاوحى الله اليه انه لا يكشف عنهم في تلك الوقت واخر الدعا ويحتمل انه راى منهم جزعا وقلة صبر فامر بالصبر ودعا لهم ولهذا قال اللهم انقل حماها واجعلها بالجحفة لان النبي صلى الله عليه وسلم ما نهى احدا عن الدعا وانما امرهم بالصبر والصبر مامور به والدعا مامور به ويحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم انه ان دعا لهم كشف عنهم وكان البلا الذي نزل بهم ثوابه الجنة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى حظ كل مومن من النار وقال من ذهبت حبيبتاه فصبر لم يكن له جزا الا الجنة يعني عينيه والجنة افضل الثواب فندبهم الى الافضل وهم في هذا الحال مامورون بالدعا والانبيا عليهم السلام تفارق الناس في ذلك اذ يطلعهم الله على ما هو خير لهم ولغيرهم فيسالونه في حال ويدعونه في اخرى وقد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الشفا وسال الانصار ان يصبروا ولم يدع لهم لعلمه بما هو خير لهم انتهى كلام الطرطوشي رحمه الله تعالى الحديث

التاسع والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لي عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما الكلام على الحديث من وجوه الاول معنى تجاوز عفا وصفح الثاني الخطا نقيض الصواب وقد يمد وقد قرى بهما قوله تعالى ومن قتل مومنا خطا تقول منه اخطات وتخطات ولا تقول اخطيت قال الجوهري وبعضهم يقوله والخطا الذنب في قوله تعالى ان قتلهم كان خطا كبيرا اي اثما تقول منه خطي يخطا خطا وخطاة قال ابو عبيدة خطي واخطا لغتان بمعنى واحد وقال الاموي المخطي من اراد الصواب فصار الى غيره والخاطي من تعمد ما لا ينبغي وفي الحديث لا تحتكر الا خاطي الثالث النسيان خلاف الذكر والحفظ والنسيان ايضا الترك قال الله تعالى

نسوا الله فنسيهم وقال تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم والنسيان التاخير وفي قوله
تعالى ما ننسخ من اية او ننسها اي نوخرها وننسها من النسيان وقد اختلف العلما
في النسيان والخطا المذكورين في قوله تعالى ان نسينا او اخطانا فقيل النسيان
بمعنى الترك اي ان تركنا شيا من طاعتك فلا تواخذنا وقيل الذهول والخطا
عن المقصود واستدل على ذلك بهذا الحديث وقال ابن زيد المعنى ان نسينا
الماموز او اخطانا في المنهي وقال عطا جهلنا او تعمدنا ولا يقتضيه اللفظ الرابع
يقال اكرهته على كذا اذا حملته عليه كرها وكرهت الشي اكرهه كراهة وكراهية
فهو شي كريه ومكروه والكره بالضم المشقة يقال قمت على كره اي على مشقة
واقامني فلان على كره بالفتح اذا اكرهك عليه وكان الكساي يقول الكره والكره
لغتان قاله الجوهري مسله مذهب مالك رحمه الله تعالى ان من حلف ان لا يفعل
كذا ففعله ناسيا او مخطيا حنث وذلك مثل ان يحلف انه لا يدخل دار زيد
مثلا فيدخلها ناسيا ليمينه ومخطيا مثل ان يعتقد انها دار عمرو ومثله
وتاول هذا الحديث بان المرفوع او المتجاوز عنه اثم الخطا واثم النسيان والذي
عليه الفتوى في مذهب الشافعي عدم الحنث هذا هو المفهوم من كلام الرافعي
رحمه الله تعالى وعندهم في الاكراه وجهان واما مذهبنا في الاكراه فعدم الحنث
سوا اكره على فعل ما حلف انه لا يفعله او على طلاق او عتق او غير ذلك قال الله
تعالى الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان واذا لم يواخذ بالتلفظ بكلمة الكفر حالة
الاكراه فما عدى ذلك احرى واولى واسند البيهقي رحمه الله تعالى عن عايشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا طلاق في اغلاق وهو مذهب عمر وابن عمر
وابن الزبير رضي الله عنهم وتزوج ثابت بن الاحنف ام ولد لعبد الرحمن ابن زيد
بن الخطاب فاكرهه بالسياط والتخويف على طلاقها في خلافة ابن الزبير

فقال له ابن عمر

فقال له ابن عمر لم تطلق عليك ارجع الى اهلك وكان ابن الزبير بمكة وكتب له الى عامله
بالمدينة وهو جابر بن الاسود ان يرد اليه زوجته وان يعاقب عبد الرحمن ابن زيد
بن الخطاب فجهزتها له صفية بنت ابي عبيد زوجة عبد الله ابن عمر وحضر عبد الله
ابن عمر عرسه عملا بهذا الحديث والله اعلم الحديث الموفي اربعين عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك غريب
او عابر سبيل وكان ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت
فلا تنتظر المسا وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري
الكلام على الحديث من وجوه الاول المنكب بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد
والكتف والمناكب ايضا جناح الطاير اربع بعد القوادم والمنكب الموضع
المرتفع من الارض وروايتنا في الحديث منكبي على التثنية فيه مس المعلم
لبعض اعضا المتعلم عند التعليم والموعوظ عند الوعظ وهذا عندي كقول
عبد الله ابن مسعود علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كفي بين كفيه
وذلك للتانيس والتنبيه والتذكير اذ محال في العادة ان ينسى عبد الله
او ابن مسعود رضي الله عنهما مس النبي صلى الله عليه وسلم لهما ولا يتذكراه ولا يكاد
الانسان يفعل ذلك في الغالب الا بمن يميل قلبه اليه ففي ذلك دليل على محبته
عليه السلام لهما الثاني في الحديث الابتدا بالنصيحة والارشاد لمن لم يطلبه
ذلك وفيه حرصه عليه السلام على ايصال الخير لامته عليه السلام اذ كان هذا الكلام
لا يخص ابن عمر رضي الله عنهما في الحقيقة بل ذلك يخاطب به جميع الامة من حيث
المعنى اذ لم يكن صلى الله عليه وسلم يخص احدا دون غيره بحكم من احكام الشريعة
او خير يدله عليه وفيه الحض على ترك الدنيا والزهد فيها وان لا ياخذ منها
الا مقدار الضرورة المعينة على الاخرة فان الغريب منكمش مستوحش

لا يجد من يعرفه فينبسط اليه ويانس به ولا مقصد له الا الخروج من غربته الى
وطنه وموضع اقامته فلا يبالى ان يرى على خلاف عادته فى ملبوسه ونحو ذلك
ولا ينافس احدا فى مجلس ولا غيره وكذلك عابر السبيل وهو المسافر اذ ليس له
ارب الا فيما يعينه على سفره وقفوله الى بلده واجتماعه باهله فلا يتخذ فى
بعض المراحل دارا ولا مسكنا ولا بستانا ولا حماما ونحو ذلك لعلمه بقلة
اقامته فى سفره وانه لو امكنه الطيران لطار فهو لا يعرج على غير ما يكون سببا
لرحيله ومعينا على سفره ووصوله الى وطنه فكل هذه الاحوال ينبغى ان يكون
عليها طالب الاخرة وما عند الله تعالى من النعيم المقيم فى جوار رب العالمين فى مقعد
صدق عند مليك مقتدر اللهم وفقنا لذلك واسلك بنا ارشد المسالك فانك
القادر على ذلك الثالث قوله اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت
فلا تنتظر المسا فيه الحث على تقصير الامل لانه المصلح للعمل والمنجى من افاته
التراخى والكسل فانه من طال امله ساء عمله قالوا وهو حقيقة الزهد فى الدنيا
اعنى قصر الامل والحق انه يتسبب للزهد لا الزهد نفسه لان من قصر امله
زهد وما يصنع بالدنيا بعد الموت وانما تكون الرغبة مع طول الامل لا مع قصره
وبالجملة فطول الامل يتولد عنه اربعة اشيا ترك الطاعة والكسل فيها
والثانى التسويف بالتوبة والثالث الرغبة فى الدنيا والرابع القسوة فى القلب
والنسيان للاخرة لانك اذا املت العيش الطويل نسيت الموت والقبر والثواب
والعقاب واحوال الاخرة وزلازلها واهوالها واقبلت على اسباب الدنيا وصحبة
الخلق فيقسو القلب ضرورة وانما رقة القلب وصفوته بذكر الموت والقبر
والثواب والعقاب واحوال الاخرة قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست
قلوبهم وقال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال

على ابن ابى طالب

على ابن ابى طالب رضى الله عنه ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الاخرة مقبلة ولكل واحدة
منهما بنون فكونوا من ابنا الاخرة ولا تكونوا من ابنا الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب
وغدا حساب ولا عمل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال خط النبى صلى الله عليه وسلم خطا
مربعا وخط خطا فى الوسط وخط خطا خارجا وخط خطوطا صغارا الى هذا الذى
فى الوسط من حوله فقال هذا الانسان يعنى الخط الذى فى المربع

وهذا اجله محيط به وذلك امله خارج الخط فقد حال الاجل بينه وبين امله
وهذه الخطوط الصغار الاعراض فاذا اخطاه هذا نهشه هذا وان اخطاه هذا
نهشه هذا وان اخطاته كلها اصابه الهرم ومعنى لا تحدث نفسك بالصباح اى
لا تنتظر باعمال الليل اعمال الصباح وكذلك العكس فى انتظار المسا فان لكل
منهما عملا يخصه فان اخر عنه فات ولم يستدرك ابدا الرابع قوله وخذ من صحتك
لمرضك ومن حياتك اى اغتنم العمل حال الصحة فان المرض مانع منه اذ لا قوة
تعين عليه حينئذ فاستسلف وبادر قبل هجومه وكذلك قوله ومن حياتك
لموتك فانه بالموت ينقطع العمل فينبغى للانسان ان يقدر انه مات ثم بعث
فانظر كيف يكون عمله قال ابن الجوزى رحمه الله اذا رايت قبرا فتوهمه قبرك
وعد باقى الحياة ربحا وقال ابو نصر ابن ودعان رحمه الله تعالى قصر الامل
اصل كل خير كما ان تطويله اصل كل شر فان من لا يقدر فى نفسه انه يعيش غدا
لا يسعى لكفايته غدا ولا يهتم لها فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل
وخدمة ابنا الدنيا ويكفيه كل شى ومن قدر فى نفسه انه يعيش عشر سنين
او عشرين سنة فانه يصير عبدا لهذه الاوصاف الذميمة المذكورة ولا يكفيه شى
من الدنيا ولا يملا بطنه وعينه الا التراب كما جا فى الحديث فنسال الله تعالى
التوفيق والهداية الى اقوم طريق بمنه وفضله امين الحديث الحادى والاربعون

عن ابي محمد عبد الله ابن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة
باسناد صحيح التعريف عبد الله ابن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن
سعيد بن سعد بن سهل بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي بن غالب القرشي
السهمي كنيته ابو عبد الرحمن ويقال ابو نصر ويقال ابو محمد وامه ريطة بنت منبه
بن الحجاج بن عامر بن سعد بن سهل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فيهم نعم البيت عبد الله وابو عبد الله وام عبد الله وكان ابوه عمرو اكبر منه
باثني عشر سنة وقيل باحدى عشرة سنة واسلم قبل ابيه وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يفضله على ابيه وكان غزير العلم مجتهدا في العبادة وكان من زهاد
الصحابة وعبادهم وفضلائهم وعلمائهم وممن اوسعهم رواية قال ابو هريرة
رضي الله عنه ما احد اكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني الا عبد الله
ابن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وكنت لا اكتب روي له عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبعمائة حديث اتفقا على سبعة عشر حديثا وانفرد البخاري بثمانية
ومسلم بعشرين حديثا وروايته اكثر من ذلك كما تقدم وانما توعرت الطرق
في الرواية عنه فكان ذلك سببا في قلة ما وقع وصح عنه والله اعلم وكان
عبد الله بن عمرو هذا قد استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة عنه في حال
الرضى والغضب فاذن له ويقال انه حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الف مثل
وكان قد قرا الكتب كان يصوم النهار ويقوم الليل ويرغب عن غشيان النسا
وكان مع ابيه الى ان توفي ابوه بمصر ثم انتقل الى الشام الى ان توفي يزيد
ثم انتقل الى مكة وقد اختلف في وفاته وفي محلها فقيل مات بمكة وقيل
مات بالشام وقيل مات بمصر ودفن بها في داره الصغرى واختلف في وفاته

فقيل مات

فقيل مات سنة خمس وستين وقيل سنة سبع وقيل سنة تسع وستين وله اثنتان وسبعون سنة
وقيل اثنتان وتسعون وقيل بلغ قريبا من مائة سنة وكان قد عمي في اخر عمره
روى له الجماعة رضي الله عنه الشرح الهوى المقصور هوى النفس يعني ما تحبه
وتميل اليه يجمع على اهوا والهوا بين السما والارض وكل منخرق ممدود والجمع
الاهوية وقوله تعالى وافئدتهم هوا قيل جوفه لا عقول فيها وقيل منخرقة
لا تعي شيا قاله العزيزي رحمه الله تعالى والمعنى في الحديث لا يؤمن احدكم حتى يميل
قلبه وطبعه الى ما جئت به كما يكون كذلك في محبوباته الدنيوية التي جبلت
النفس على الميل اليها لا بمجاهدة وتصبر واحتمال مشقة او بعض كراهة مما
بل تهواها كما تهوى المحبوبات المشتهاة فان من احب شيا تبعه هواه ومال
عن غيره اليه ووالاه ولذلك لم يقل صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى ياتمر
بما امرته او حتى ياتي بكل ما جئت به ونحو ذلك فان المامور بالشي الملتزم به
قد يفعله اضطرارا لا اختيارا وهذا كقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
فلم يقتصر تعالى على قوله حتى يحكموك بل قال تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ثم اكد ذلك بقوله تعالى ويسلموا تسليما فتاكيد الفعل بالمصدر
الذي هو تسليما يؤذن بما ذكرنا وهو ان تكون النفوس مطمئنة منشرحة
مسلمة لما امرت تفعله لا منكمشة ولا متوقفة توقفا ما لان من علم تسليما
لا يكون عنده توقف ما هذا مدلول اللفظ ومعناه والله اعلم واما سبب
نزول هذه الاية فقال ابن عطية قال مجاهد وغيره المراد بهذه الاية من
تقدم ذكره ممن اراد التحاكم الى الطاغوت وفيهم نزلت ورجح الطبري هذا لانه
اشبه بنسق الاية وقالت طايفة نزلت في رجل خاصم الزبير بن العوام :

في السقي بماء الحرة فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء
الى جارك فغضب ذلك الرجل وقال ان كان ابن عمتك فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستوعب للزبير حقه فقال احبس الماء يا زبير حتى يبلغ
الجدر ثم ارسل الماء فنزلت الاية واختلف اهل هذا القول في هذا الرجل
فقال بعضهم هو رجل من الانصار من اهل بدر وقال مكي وغيره هو حاطب
ابن ابي بلتعة قال ابن عطية والصحيح الذي وقع في البخاري انه رجل من الانصار
وان الزبير قال ما احسب هذه الاية نزلت الا في ذلك وقالت طائفة لما قتل
عمر رضي الله عنه الرجل المنافق الذي لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم بلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما كنت اظن ان عمر يجترئ على قتل رجل مؤمن فنزلت
الاية نافية لايمان ذلك الراد لحكم النبي صلى الله عليه وسلم مقيمة عذر عمر رضي الله
عنه في قتله انتهى كلام ابن عطية قال ابن فرح الاندلسي وذلك ان مياه
السيول اذا جاءت كان لهم عليها اموال يسقونها بها والحكم فيها ان احق الناس
بالماء اعلاهم واقربهم من موضع مجتمع السيل فاذا اراد ان يسقي لم يمنعه
احد حتى يسقي ارضه او شجره فاذا فرغ منه ارسله الى الذي هو تحته
وهكذا حتى يستوعبهم الماء ويفرغ حيث انتهى وحق كل واحد ان يسقي
حتى يبلغ الى الكعبين وقيل حتى يبلغ الجدر فلما تحاكما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر ما تقدم وزاد وكان هذا الرجل اراد ان يسرح الزبير له الماء
قبل ان يسقي الزبير به والحق كان للزبير قال وهذا كان انصاريا نسبا
ولم يكن نسبا ودينا بل كان منافقا ولا يصدر مثل هذا الا من منافق قال
ويحتمل انه لم يكن منافقا لكن صدر ذلك منه بارادة نفس وزلة شيطان
كما قد اتفق لحاطب ابن ابي بلتعة ولحسان ومسطح وحمنة في قصة الافك

وغيرهم ممن

وغيرهم ممن بدرت منهم بوادر نفسانية لكن لطف بهم صلى الله عليه وسلم حتى رجعوا
عن الزلة وصحت لهم التوبة ولم يؤاخذوا بالحوبة والجدر بضم الجيم وسكون الدال
ويجمع على جدور وهو الاصل ويعني به حتى يصل الماء الى اصول النخل والشجر
ويأخذ منه حقها وفي بعض طرقه حتى يبلغ الماء الى الكعبين ويعني به والله اعلم
حتى يجتمع الماء في الشربات وهي الحفر التي تحفر في اصول النخل او الشجر الى
ان يصل من الواقف فيها الى الكعبين وقد روي الجدر بكسر الجيم وهو الجدار
ويجمع على جدور ويعني به جدور الشربات فانها ترفع حتى تكون شبه الجدار
ففي هذا الحديث ارشاد الحاكم الى الاصلاح بين الخصوم فان اصطلحوا والا
استوفى لذي الحق حقه وثبت الحكم بطريقه ومنها ان الاولى بالماء الجاري
الاول حتى يستوفي حقه وهذا ما لم يكن اصله ملكا للاسفل مختصا به
فليس للاعلى ان يشرب منه شيئا ان كان يمر عليه ومنها الصفح عن جفا الخصوم
ما لم يؤد الى هتك حرمة الشرع والاستهانة بالاحكام وان كان ذلك من الادب
وهذا الذي حصل من خصم الزبير اذى للنبي صلى الله عليه وسلم عظيم ولم يقتله
النبي صلى الله عليه وسلم لما علم من عظيم حلمه وصفحه ولئلا يكون قتله منفرا
لغيره عن الدخول في الاسلام فلو صدر اليوم مثل هذا من احد في حق النبي
صلى الله عليه وسلم لقتل قتل زنديق انتهى وقال ابن بطال قسم النبي صلى الله
عليه وسلم قسمة لبعض من كان يقسم فقال رجل ان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله فبلغت النبي صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قال اوذي موسى باكثر من هذا
فصبر صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم الحديث الثاني والاربعون عن انس
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن ادم
انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت

ذنوبك عنان السما ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن ادم لو انيتني بقراب الارض
خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها مغفره رواه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح الكلام على الحديث من وجوه الاول ادم عليه السلام
ابو البشر وزنه افعل والاصل أأدم بهمزتين فابدلت الثانيه وهي فا الفعل
الفا لانه مشتق من اديم الارض الاصل او من الادمة وهي حمرة تميل الى السواد
ولا يجوز ان يكون وزنه فاعلا اذ لو كان كذلك لانصرف مثل عالم وخاتم
والتعريف وحده لا يمنع وليس باعجمي وجمعه اوادم مثل احمر واحامر
وقيل وزنه فاعل وجمعه ادمون واوادم ويلزم قايل هذه المقالة
صرفه كما تقدم وقال الطبري ادم فعل رباعي سمي به وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال خلق ادم من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك
منهم الابيض والاسود والاسمر والسهل والحزن والطيب والخبيث
الثاني ما من قوله ما دعوتني مصدريه ظرفيه والتقدير انك مدة دوام
دعايك اياي كما تقول لا احسن اليك ما اخذ منتني اي مدة دوام خدمتك
اياي الثالث فيه الحض على الدعا كما تقدم خلافا لمن خالف الله ورسوله
من المتصوفه في ذلك الذين لم ترسخ علوم الشريعه في قلوبهم والرجا
ممدود ضد الياس والرجا مقصور الناحيه ومنه قوله تعالى والملك
على ارجايها اي نواحيها وكذلك رجا البير الرابع معنى غفرت لك سترت
ذنبك وغطيته لان الغفر في اللغه التغطيه ومنه المغفر مفعل من الغفر
لتغطيته الراس والغفران مثله والفعل غفر يغفر مثل ضرب يضرب
وفيه لغه ثانيه غفر يغفر مثل علم يعلم والمصدر الغفر والغفران والمغفره
والظاهر في اللغه ان العفو مثل الغفر والمغفره قالوا عفوته عن الرجل

اذا تركت

اذا تركت ذنبه ولم تعاقبه وهذا معنى المغفره ايضا لكن يظهر من كلام ابن عطيه ان بينهما فرقا
لطيفا فقال في قوله تعالى واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال واعف عنا اي فيما واقعناه
وانكشف واغفر لنا اي استر علينا ما علمت منا وارحمنا اي تفضل مبتديا برحمة منك
وقوله على ما كان منك اي على تكرار معصيتك وقوله ولا ابالي اي بذنوبك لانه تعالى
لا حجر عليه فيما يفعل ولا معقب لحكمه ولا مانع لعطايه سبحانه وتعالى الخامس قوله
لو بلغت ذنوبك عنان السما هو بفتح العين المهملة وهو السحاب الواحدة عنانه
وعانته واعنان السما صفايحها وما اعترض من اقطارها كانه جمع عنن قاله الجوهري
وغيره واستدل عليه بقول يونس ليس لمنقوص البيان بها ولو جال بيا وخد اعنان السما
والمعنى لو كانت ذنوبك اشخاصا فملات ما بين السما والارض ثم استغفرتني غفرت لك
وهذا مثال لتناهيه في الكثرة والكرم والفضل اكثر منه واوسع حتى انه يقال ليس
بينهما صيغة افعل لان كرمه سبحانه وفضله واحسانه وجوده وامتنانه وعفوه
وغفرانه ورحمته الشاملة واياديه المتناليه وجميع صفاته عز وجل لا نهاية لها
وكيف تتصور المفاضله بين المتناهي وغير المتناهي السادس قوله لو اتيتني
بقراب الارض هو بضم القاف وكسرها لغتان روي بهما والضم اشهر اي لو اتيتني بما
يقارب ملا ما بين السما والارض خطايا لاتيتك بقرابها مغفره ومعنى لقيتني
لا تشرك بي شيا اي مت معتقدا توحيدي مصدقا برسولي محمد صلى الله عليه وسلم
وبما جا به فهو كما تقدم في حديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وحذف ذلك لقوة الدلالة عليه كما تقدم فمن مات على ذلك فقد اجمع العلما على خلوده
في الجنه وان كان عاصيا كما اجمعوا على ان من مات كافرا انه مخلد في النار نعوذ بالله
من سخطه واليم عقابه ونساله رحمته وثوابه خاتمه يظهر لي ان معاني هذه
الاحاديث كلها وان كثر تعدادها وجل مقدارها وعظم محلها واشتمل على كل الشريعه

المحمدية شملها ترجع الى تقوى الله تعالى في السر والعلانية مع قصر الامل والزهد
في الدنيا وترك ما لا يعني من فضولها والشغل بذكر الله تعالى والاستعداد من
للقايه والتواضع لخلق الله تعالى وحسن التخلق معهم بما يقتضيه الشرع والانقبا
عنهم فيما لا يعني وارادة الخير لهم بالباطن ومساعدتهم بالظاهر فيما امكن من ذلك
وهذا اخر ما وفق الله تعالى اليه من شرح هذه الاحاديث الاربعين المشتملة على
قواعد الدين على حسب الامكان والحمد لله الكريم المنان تقبله الله تعالى وجعله
ونفع به جامعه وكاتبه وقاريه والناظر فيه وجميع المسلمين امين رب العالمين
اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى ال سيدنا محمد وازواجه
وذريته كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وبارك على سيدنا محمد النبي الامي وعلى
ال سيدنا محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين انك
حميد مجيد وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا اللهم اني استودعك شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وان عيسى عبد الله وابن امته وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وان الجنة حق وان النار حق وان الميزان حق وان الصراط حق وان الساعة اتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور كما بداهم يعودون يا من لا تخيب لديه الودايع
واسالك واتضرع اليك بحق محمد عليك وجميع انبيايك ورسلك وملايكتك والصالحين
من عبادك وباسمايك الحسنى وصفاتك العلا ان تجعلني من خواصك واهل
ودادك ومن المنتخبين من اصفيايك انك ولي ذلك والقادر عليه وان تغفر لي
ولوالدي ولاهلي ولمشايخي واخواني واحبابي ومعارفي وجميع المسلمين رب العالمين
اله الاولين والاخرين والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيد الاولين والاخرين
محمد خاتم النبيين وعلى اله وازواجه الطاهرات امهات المومنين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين قال المصنف رضي الله عنه وكان الفراغ منه في الليلة

المسفر

المسفر صباحها عن يوم الاربعا سابع عشر جمادى الاولى عام خمسة وعشرين وسبعماية

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة في يوم الاربعا
حادي عشر جماد الثاني عام
ستة وعشرين والف
والحمد لله
وحده
م

طالع في هذه النسخة المعظمة العبد الفقير الحقير المعترف بالعجز
والتقصير لربه القدير عبد الله بن يونس بن محمد بن ابي الخير
برغوث الحلبي بلدا الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه
ولوالده ولوالدته ولوالدي والديه ولمن طالع في هذا
الكتاب المبارك ودعا له ولوالديه بالمغفرة ولجميع المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين آمين

وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما
دائما الى يوم
الدين والحمد
لله وحده